علم اللغة التطبيقي في التراث العربي: الجاحظ نموذجاً

*جاسم علي جاسم**

ملخص

يهتم علم اللغة التطبيقي بتعليم اللغات وتعلمها، والاستفادة من النظريات التربوية في تعليم اللغات. ويعالج موضوعات عديدة منها: علم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، والترجمة، وتعليم اللغات، والتحليل التقابلي، وتحليل الأخطاء، والمفردات الشائعة، والنحو التعليمي، واختبارات اللغة، وتحليل الخطاب، وصناعة المعاجم، والسياسة اللغوية، والتخطيط اللغوي، وغيرها. فالجاحظ تحدث عن جل هذه الموضوعات. ففي علم اللغة النفسي عالج مسائل كثيرة منها: اكتساب اللغة، ولغة الإشارة، ولغة الحيوانات، وأمراض الكلام وأسبابها وعلاجها. كما ناقش موضوع الصمت الذي يعد من موضوعات علم اللغة الاجتماعي. وبيَّن أن الترجمة مهمة صعبة وعسيرة ومستحيلة خاصة في ترجمة القرآن الكريم والشعر. كما تطرق إلى موضوع تعليم اللغات عند العرب والأجانب، وشرح فرضيات التحليل التقابلي شرحاً دقيقاً، وهي: النقل اللغوي، والتنبؤ، واستعمال المواد التعليمية لتقليل آثار التداخل. كما تحدث عن أنواع الأخطاء، وشرح أسبابها من اجتماعية، ونفسية، وعضوية، وبيّن كيفية علاجها بطرق شتى. وبسط القول في المفردات الشائعة، ذاكراً أسباب وشروط شيوعها في اللغة، كما تطرق إلى موضوع تيسير النحو وتبسيطه للمتعلمين.

الكلمات الدالة: لغة، تطبيقي، تراث، الجاحظ.

المقدمـة

أُهْمِلَ علم اللغة التطبيقي – وهو علم يهتم بتعلم اللغة وتعليمها، والبحث في مجالاتها التطبيقية[1] – في التراث العربي إهمالاً شديداً من قبل الباحثين المعاصرين، ولم يتنبَّهوا إليه، كما لم يُوَفُّوه حقَّه من البحث والدراسة. على الرغم من أن هذا العلم ضارب الجذور عند العرب منذ أيام الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله، وسيبويه، والكسائي، والجاحظ، وغيرهم. ويعد الجاحظ رائد هذا الميدان، لا كما يُزعَم من أن هذا العلم أمريكي – أوربي النشأة، ظهر في العصر الحديث.

لم يكن هذا العلم وليد القرن العشرين – والذي يتناول قضايا لغوية عديدة منها[2]: علم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، والترجمة، وتعليم اللغات، وعلم اللغة التقابلي، وتحليل الأخطاء، والمفردات الشائعة، والنحو التعليمي، وغير ذلك من القضايا اللغوية – بل الجاحظ هو مؤسس هذا العلم بلا منازع، وأستاذه الأول في اللغة العربية. ولقد حذا علماء اللغة في أمريكا وأوربا حذوه، واستناروا بآرائه، ومبادئه، في دراسة هذه الموضوعات اللغوية التطبيقية، التي تناولها بشكل مفصَّل في كتبه العلمية القيمة؛ كالبيان والتبيين، والحيوان، والرسائل، وتوصلوا إلى معظم نتائجه التي أكدها في أبحاثه منذ أكثر من ألف ومئتي سنة تقريباً. وبناءً على هذا نقول: إن علم اللغة التطبيقي لم يكن جديداً في الدراسات اللغوية الأوروبية، وأنه من نتاج حضارتهم، بل إنه علم عربي أصيل، كان الجاحظ أبرز أعلامه، يؤكد ذلك أبحاثه ودراساته في هذا الميدان[3].

موضوع البحث

يتناول هذا البحث إسهامات الجاحظ وآرائه في علم اللغة التطبيقي. والموضوعات التي بحثها الجاحظ، هي: علم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، والترجمة، وتعليم اللغات، وعلم اللغة التقابلي، وتحليل الأخطاء، والمفردات الشائعة، والنحو التعليمي، وغيرها.

أهمية البحث

تأتي أهمية هذا البحث من خلال:

1- تأكيد علماء اللغة المعاصرين في أمريكا وأوربا، على أن علم اللغة التطبيقي، يعد من اكتشافاتهم، وأنه من بنات أفكارهم.

2- بيان إسهامات الجاحظ في هذا الميدان، وأنه أستاذ هذا العلم العريق.

3- بيان أسبقية علماء اللغة العرب في معالجة هذه

* معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. تاريخ استلام البحث 2011/9/26، وتاريخ قبوله 2012/7/15.

© 2013 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

الموضوعات، منذ أكثر من ألف ومئتي سنة تقريباً، وأن آراءهم وأفكارهم في هذا المجال متقدمة على علماء اللغة في أمريكا وأوربا، بل إنهم يكررون ما قاله العرب في هذا المضمار.

أسباب اختيار البحث

لم يحظ هذا العلم بالدراسة والعناية العلمية اللائقة به، وأهمل على يدي اللغويين العرب. ولم تقم سوى محاولات فردية قليلة جداً، من بعض الباحثين العرب، في بيان إسهامات وأسبقية العلماء العرب في هذا المجال، وأنهم هم الآباء الحقيقيين لهذا العلم[4]. والحقيقة أن ما تقوم به هذه الدراسة؛ هو: بيان ومناقشة آراء الجاحظ وأفكاره في علم اللغة التطبيقي بشكل مفصل، وتأثيره في علماء اللغة في الغرب وتقليدهم لتلك النظريات والآراء التي أثبتها في هذا المجال.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان آراء الجاحظ في كل من الموضوعات التالية:

- علم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، والترجمة، وتعليم اللغات، وعلم اللغة التقابلي، وتحليل الأخطاء، والمفردات الشائعة، والنحو التعليمي.
- إثبات ريادته لهذا العلم في التراث العربي القديم.

منهج البحث

سوف يقوم الباحث باعتماد المنهج الوصفي في دراسة موضوعات هذا العلم. كما سيقوم بشرح المادة اللغوية وبيانها معتمداً على المنهج المتبع عند أهل التخصص في كل موضوع من موضوعات الدراسة.

الدراسات السابقة

1- دراسة أنور، محمد سامي، 1983[5]، تناول في بحثه الأخطاء الشفوية في اللغة العربية، وأكد فيها أن العلماء العرب القدامى، هم الآباء الفعليين لهذا الميدان. وإن ما جاء به الغربيون هو ترديد لما قاله علماء اللغة العرب في هذا المجال.

2- دراسة جاسم، جاسم علي. 2009أ، عن تحليل الأخطاء في التراث العربي. نتائج الدراسة: إن علماء اللغة العربية درسوا الأخطاء بشكل علمي ومنهجي دقيق، ولم يقلِّدوا غيرهم من اللغويين السابقين لهم. وتشفع لهم أعمالهم اللغوية الأصيلة، ودراساتهم الكثيرة في هذا المجال. أضف إلى ذلك، أن علماء اللغة في العصر الحديث من الغربيين وغيرهم، ساروا على هَدْي منهج العلماء العرب القدامى في هذا المضمار، من دون أن يُصرّحوا بذلك[6]. وفي هذا السياق يقول (روبينز Robins[7]): "إنه من المؤكد أن اللغويين العرب القدامى طوروا نظرتهم الخاصة في نظامهم اللغوي، ولم يطبقوا النظام اللغوي اليوناني على لغتهم أبداً، كما هو الحال في النحو اللاتيني".

3- دراسة جاسم، جاسم علي، و جاسم، زيدان علي. 2001. عن علم اللغة التقابلي في التراث العربي. نتائج الدراسة: تبين للباحثيْن أن دراسات العرب القدماء كانت هي الأساس لنشوء هذا الفرع من علم اللغة، فوجدا في دراسات سيبويه والجاحظ والسيوطي وغيرهم تقدماً كبيراً في ميدان علم اللغة التطبيقي أو علم اللغة التقابلي. وكان الجاحظ في علاجه لمشكلة اللثغة واللكنة يشرح أسس هذا العلم، كالتنبؤ والنقل من اللغة الأم إلى الثانية، والتدريب.

4- دراسة جاسم، جاسم علي. 2009ب. عن علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب. نتائج الدراسة: إن اللغويين العرب القدامى، بحثوا موضوعات علم اللغة النفسي بشكل دقيق وأصيل. ومن هذه الموضوعات مثلاً: الفكر واللغة، واللغة توقيف أم اصطلاح، واكتساب اللغة، ولغة الحيوانات، ولغة الإشارات والرموز، وأمراض الكلام، وأسبابها، وعلاجها. وكانت آراء العلماء العرب مؤثرة جداً في آراء علماء اللغة المحدثين، الذين تحدثوا عن هذا الموضوع المهم. ولقد أجرى الغربيون التجارب والبحوث؛ وأكدوا ما قاله العلماء العرب؛ من دون أن ينسبوا هذه المعلومات إليهم، أو أن يذكروا أعمالهم القيمة في هذا الجانب.

وبعد هذه المقدمة الوجيزة، نعود لنتناول موضوعات هذا العلم كما بيَّنها الجاحظ.

علم اللغة النفسي

1- تمهيد: إن علم اللغة النفسي، هو أحد فروع علم اللغة التطبيقي؛ الذي يهتم بدراسة اللغة واكتسابها واستعمالها وفهمها[8]. كما يهتم أيضاً بدراسة لغة الحيوانات، ولغة الإشارة، وأمراض الكلام وغير ذلك من القضايا اللغوية. بدأ الاهتمام به بشكل كبير – في أمريكا – في الخمسينات من القرن الماضي؛ عندما عبَّرَ (تشومسكي Chomsky) عن آرائه النقدية حول طبيعة اللغة ووظيفتها وأساليب اكتسابها ومنهج دراستها وتحليلها في كتابه المشهور: الأبنية النحوية (Syntactic Structures) [9]؛ وكذلك من خلال هجومه العنيف على البنيوية والبنيويين، والسلوكية والسلوكيين في علم النفس – وخاصة عالم النفس السلوكي (سكنر Skinner) – الذين يهتمون بظاهر اللغة لا بعمقها، ويفسرون اكتسابها تفسيراً آلياً، ولا يهتمون

بالجانب الإبداعي الخلاق في اكتسابها واستعمالها[10]. ويهدف هذا البحث إلى الإجابة عن السؤالين التاليين:

أولاً: هل تطرق الجاحظ إلى موضوعات علم اللغة النفسي؛ وناقشها بشكل جيد؟

ثانياً: وهل كانت آراؤه مؤثِّرة في علم اللغة النفسي الحديث أم لا؟

2- تعريف علم اللغة النفسي: يعرفه ريتشاردز وغيره (Richards, et al.[11]) بأنه: "العلم الذي يهتم بدراسة العمليات العقلية التي تتم في أثناء استعمال الإنسان للغة فهماً وإنتاجاً، كما يهتم باكتساب اللغة نفسها".

ويعرفه مالمكجاير (Malmkjaer) وأندرسون (Anderson) [12]: بأنه العلم الذي تتكاتف فيه الرؤى والجهود اللغوية والنفسية لدراسة الجوانب المعرفية التي تفسر فهم اللغة وإنتاجها.

ويعرفه العصيلي[13] بأنه: "علم يهتم بدراسة السلوك اللغوي للإنسان، والعمليات النفسية العقلية المعرفية التي تحدث في أثناء اللغة واستعمالها، التي من بها يكتسب الإنسان اللغة".

وإليكم الآن الإجابة عن سؤالي البحث من خلال عرض بعض موضوعاته ومناقشتها عند الجاحظ.

3- اكتساب اللغة: إن ظاهرة اكتساب اللغة (الأم والأجنبية/أو الثانية)، والنظريات التي تفسرها، من الموضوعات المهمة جداً، التي يهتم بها علم اللغة النفسي الحديث اهتماماً بالغاً في القرن العشرين. وفيما يلي سوف نبين آراء الجاحظ في هذه الظاهرة، وتأثير ذلك في علماء اللغة المعاصرين.

إن اللغويين العرب القدامى تحدثوا عن ظاهرة اكتساب اللغة (الأم والثانية)، في موسوعاتهم العلمية القيمة، منذ اثني عشر قرناً تقريباً[14]. ومن بين هؤلاء الذين تحدثوا عن هذه الظاهرة عند الأطفال الجاحظ[15]، حيث يقول: "والميم والباء أوّلُ ما يتهيّأ في أفواه الأطفال، كقولهم: ماما، وبابا؛ لأنهما خارجان من عمل اللسان، وإنما يظهران بالتقاء الشفتين".

فهذان الحرفان هما أول ما ينطقهما الأطفال عند اكتسابهم أصوات اللغة بالإضافة إلى الألف الذي ينطقونه لحظة ولادتهم؛ وأنهما أسهل الحروف لديهم، لكونهما لا يحتاجان إلى فعل اللسان الذي يكون – عادة – ثقيلاً عليهم في النطق، وذلك في مستهل اكتسابهم للغة.

وفي هذا الخصوص يقول جاس وسلينكر[16]: "عندما يبلغ الطفل ستة أشهر من العمر تقريباً، يبدأ بالتحول إلى أصوات أكثر شبهاً باللغة والتي تسمى بالبأبأة. تتكون البأبأة غالباً من تتابعات من صامت فصائت (مثل بابابا، دادادا، ولاحقاً بادا). ومن الطبيعي في هذه الحالات أن يحمل الآباء أو المربيات أصوات البأبأة المبكرة هذه على أنها "كلمات". مثلاً كثيراً ما تُفسَّر الأصوات ماماما على أنها تعود إلى أم الطفل. وربما تأمل الأمهات ذلك، في حين أنها في الحقيقة ربما تكون ليست أكثر من أصوات دون معنى معين يرتبط بها. فالفاصل بين البأبأة والكلمات الحقيقية عادة فاصل دقيق".

وعالج الجاحظ أيضاً [17]: ظاهرة اكتساب اللغة الثانية في وقت متأخر من العمر. وتُدعى هذه الظاهرة – في اللغة المرحلية أو الوسطى "Interlanguage" – باسم "التَحَجُّر Fossilization": وهو أن الكبير لا يستطيع أن يكتسب اللغة الثانية بشكل صحيح مهما حاول ذلك؛ يقول الجاحظ: "فأما حروف الكلامِ فإن حُكِمَها إذا تمكنت في الألسنة خلافُ هذا الحكم. ألا ترى أن السِّنْدي إذا جُلِبَ كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعلَ الجيمَ زياً، ولو أقامَ في عُليا تميم، وفي سُفلَى قيس، وبين عَجُز هوازنَ، خمسين عاماً. وكذلك النَّبَطيُّ القُحُّ خلافُ المِغلاق الذي نَشَأَ في بلاد النَّبَط، لأنَّ النَّبَطيَّ القُحَّ يجعل الزَّايَ سيناً، فإذا أراد أن يقول: زَورَق. قال: سَوْرق. ويجعل العين همزة، فإذا أراد أن يقول مُشْمَعِلّ، قال: مُشْمَئِلّ. والنخاس يمتحن لسانَ الجارية إذا ظنَّ أنها رومية وأهلُها يزعمون أنها مولدة بأن تقول: ناعمة، أو تقول شمس ثلاث مرَّات متواليات".

يبين الجاحظ[18] السبب في عدم اكتسابه النطق السليم للغة لأنه: "متى ترك شمائله على حالها، ولسانه على سجيته، كان **مقصوراً بعادة المنشأ** على الشكل الذي لم يزل فيه". فالجاحظ يبين لنا تأثير اللغة الأم (بقوله: مقصوراً بعادة المنشأ) وهو ما يعرف في فرضيات التحليل التقابلي بالتدخل من اللغة الأم، في اكتساب وتعلم اللغة الأجنبية أو الثانية في المراحل المتأخرة من العمر عند المتعلمين الأجانب.

ويقول القاسمي[19] مؤكداً هذا القول: " أثبتت بحوث تربوية تجريبية حديثة أن تعليم اللغة الأجنبية في سن مبكرة يؤدي إلى إتقانها بصورة أفضل، وأن اللغة الأجنبية لا تؤثر بصورة سلبية على معرفة صغار الأطفال للغتهم القومية، وأنها لا تعرقل تكوين المفاهيم والمدركات المعنوية لدى التلاميذ الصغار".

وفي دراسة حديثة تستنتج جاس وسلينكر[20]: "... أن قدرة المتعلمين الأكبر سناً على تعلم الأصوات بسرعة، خاصة الأصوات الفوقطعية؛ تَضْمُرُ أسرع كذلك. وقد دُعمت هذه النتيجة بعدد من الدراسات". وعلاوة على ذلك، تقول جاس وسلينكر أيضاً: "إن هناك إجماعاً عاماً على أن الأفراد الأكبر سناً لا يستطيعون منطقياً أن يأملوا في الوصول إلى لهجة طبيعية في اللغة الثانية... وتشير بعض الدراسات إلى أن

متعلمي اللغات الثانية لا يستطيعون الوصول إلى سيطرة كاملة على التركيب... ونتقلان عن: (باتكوسكي Patkowski 1980م) قوله:" ... وجد أن المتعلمين الذين اكتسبوا الإنجليزية بعد سن البلوغ حصلوا على درجات أقل في الكفاية مما حصل عليه كل من المتكلمين الأصليين والمتكلمين غير الأصليين الذين بدؤوا تعلُّم اللغة الإنجليزية قبل البلوغ...".

4- لغة الحيوانات وطرائق تعلمها

يرى العصيلي[21]: أن تعليم الحيوانات بدأ في القرن العشرين على يدي العالم الروسي بافلوف (1849-1936) الذي كان يقيس مقدار ما يسيل من لعاب الكلب عندما يقدم له الطعام.

إن هذا الموضوع لم يكن جديداً عند علماء العربية القدامى؛ فقد بُحِثَ عند العلماء العرب السابقين منذ 14 أربعة عشر قرناً من الزمان[22]. تحدث الجاحظ عن لغة الحيوانات في كتبه القيمة. وفيما يلي بيان ذلك بالتفصيل.

4-1- لغة النحل:

قال تعالى: "وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بِيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيْهِ شِفَاءٌ لِلْنَاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآَيَةً لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ[23]".

يقول الجاحظ[24] عن خُلُقِ النحلة:"... شَمُّهَا مَا لا يُشَمُّ، ورؤيتها لما لا يرى، وحسن هدايتها، والتدبير في التأمير عليها، وطاعة ساداتها، وتقسيط أجناس الأعمال بينها، على أقدار معارفها وقوة إبدانها".

وعلماء اللغة المحدثين اهتموا بهذه اللغة؛ حيث يقول منصور[25]:"اهتم العالم الألماني فريش بدراسة حركات النحل ورقصه، والتي اعتبرها لغة النحل، حيث يتحرك في دوائر صغيرة متتالية بنظام معين، كما يرتفع إلى أعلى بصورة خاصة. ولقد استنتج: أن النحلة عند قيامها بهذه الحركات، إنما تنقل إلى باقي النحل في مملكة النحل، ما توصلت إليه من معرفة خارج الخلية كأن تعلم باقي أفراد المملكة من النحل بنوع الغذاء الذي عثرت عليه، وأين موقعه، ومدى بعده عن الخلية، وخط الوصول إليه".

4-2- لغة الحيوانات الأليفة والمفترسة والطيور

يشرح الجاحظ هذه اللغة؛ عند الحيوانات الأليفة، والمفترسة، والطيور، وغيرها من الحيوانات، بقوله:

" ويأمرون بتعليم أبناء الرعية الفِلاحة والنجارة... نعم حتى علموا البلابل وأصناف الطير الألحان. وناساً يعلمون القرود والدببة والكلاب والظباء المكيَّة والببغاء والسّقر (الصقر) وغراب البين، ويعلمون الإبل، والخيل، والبغال، والحمير، والفيلة: أصناف المشي، وأجناس الحضر. ويعلمون الشواهين والصقر والبوازي، والفهود، والكلاب، وعناق الأرض: الصيد. ويعلمون الدواب الطحن، والبخاتي (الإبل): الجمز (الوثب)، حتى يروضوا الهملاج، والمعناق (السريع)، بالتخليع وغير التخليع، وبالموضوع والأوسط والمرفوع. ووجدنا للأشياء كلها معلمين. وإنما قيل للإنسان العالم الصغير، سليل العالم الكبير، لأن في الإنسان من جميع طبائع الحيوان أشكالاً، من ختل الذئب (الخداع) وروغان الثعلب (المخادعة)، ووثوب الأسد، وحقد البعير، وهداية القطاة"[26].

لقد درّب العرب الحيوانات وروّضوها؛ وعلموها الكلام واللغة أيضاً[27].

من خلال ما تقدم ذكره يدل دلالة واضحة على أن للحيوانات لغة وتفكيراً وعلماً وهي قابلة للتعلم. ويمكن للإنسان أن يتعرف عليها من خلال الممارسة والتدريب والخبرة. وأن العرب القدامى أبدعوا في تعليم الحيوانات أيما إبداع. ولقد دربوا الطيور بأنواعها، والحيوانات الأليفة منها والمفترسة على الكلام واللغة وغيرها. لا كما يظن بعض العلماء في الوقت الحاضر من أمثال الوعر[28] وغيره، من أنها وليدة القرن العشرين، قامت على أيدي العلماء الغربيين.

5- لغة الإشارات والرموز

تعد لغة الإشارات والرموز من الموضوعات التي يعالجها علم اللغة النفسي الحديث في القرن العشرين. فالغربيون – ومن سار على نهجهم من العلماء العرب – أجروا التجارب على هذه اللغة وعزوها ونسبوها إليهم. ولكننا نُفنِّدُ هذا القول؛ ونقول لهم: إن علماء اللغة العربية القدامى، درسوا هذه الظاهرة في مؤلفاتهم, وإن القرآن الكريم أول ما نبأنا بهذه اللغة؛ وتحدث عنها[29].

إن لغة الإشارة لها أنواع عديدة؛ منها: إشارة المعاقين، وإشارة الأصحاء، وإشارات المرور والطرق وغيرها، فهذه كلها لغات غير منطوقة. وعلاوة على ذلك، تقول عطية[30]: إن الصورة لغة، والموسيقى لغة، والحركة لغة، والأشياء والأجسام لغة، والإشارات لغة. وما يهمنا هنا هو إشارة الأصحاء.

5-1 إشارة الأصحاء

وتنقسم هذه الإشارة إلى قسمين: إشارة عضوية وإشارة أدبية، وقد تكون الإشارة العضوية للأصحاء بعقد اللسان ومنعه

من الكلام مؤقتاً، وإن الشخص الذي تحصل له هذه العُقْلَة والحُبْسَة سليماً معافىً، ولكن الله يريد أن يظهر معجزاته فيه، وهذا ما نجده في القرآن الكريم عندما أنبأنا الخبير اللطيف على لسان زكريا عليه السلام ومريم بنت عمران الصدِّيقة[31].

5-1-1 الإشارة الأدبية:

تؤدي الإشارة الأدبية معنىً بليغاً في النفس، لا يمكن البوح به أمام الملأ؛ كي لا يتأذّى الآخرون منها أو يتأثرون. ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى: "يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُور"[32]. أي يعلم نظريات الأعين، وإشاراتها، واسترق النظر، وما تكنه وتخفيه الصدور من أمور ولواعج وأسرار وغيرها، لا يمكن الجهر بها لاعتبارات عديدة. وإن للغة الإشارة صفات نبيلة، ونتائج حميدة، لا يمكن للإنسان أن ينطق بها. ولهذا نجد لها خاصية أدبية رفيعة، في تأدية المعنى والتعبير عن المقصود، بشكل ودي وسري وبديع.

يناقش الجاحظ[33] هذه القضية بشكل أدبي رفيع؛ حيث يقول: "وجميع أصناف الدَّلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياءَ لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العَقْد، ثم الخط، ثم الحالُ التي تسمّى نِصْبة ... فأما الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين والحاجب والمنكب، إذا تباعدَ الشخصان، وبالثوب وبالسّيف، وقد يتهدّد رافع السّيف والسّوط، فيكون ذلك زاجراً، ومانعاً رادعاً، ويكون وعيداً وتحذيراً. والإشارة واللفظ شريكان، ونِعْمَ العونُ هي له، ونِعم الترجمانُ هي عنه. وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تُغني عن الخطّ. وبعدُ فهل تَعدو الإشارةُ أن تكون ذات صورةٍ معروفةٍ، وحِلْية موصوفة، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها. وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح، مرفق كبير، ومعونة حاضرة، في أمور يسترُها بعضُ الناسِ من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس. ولولا الإشارةُ لم يتفاهم الناسُ معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتَّة. وقد قال الشاعر في دَلالات الإشارة[34]:

أشارتْ بِطَرْفِ العينِ خِيفةَ أهلها إشـــارةَ مـذْعورٍ ولم تتكلَّمِ
فأيقنتُ أنَّ الطرفَ قد قالَ مَرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيَّمِ

وقال آخر[35]:

العينُ تُبدي الذي في نفس صاحبها
من المحبَّة أو بُغض إذا كانـــا
والعينُ تنطقُ والأفواهُ صامتةٌ
حتى ترى من ضمير القلب تبياناً

هذا؛ ومبلغُ الإشارة أبعَدُ من مبلغ الصَّوت. فهذا أيضاً باب تتقدم فيه الإشارةَ الصوتَ".

ومن العلماء الغربيين والعرب المعاصرين الذين تناولوا هذه الظاهرة فيجوتسكي[36]: الذي تحدث عن لغة الإشارات عند الصم البكم، وتحدث الحمداني عن لغة الإشارات؛ وأطلق عليها اسم مصاحبات اللغة، وتضم هذه المصاحبات: تعبيرات بالوجه والجسم وحركات اليدين، إضافة للتعبيرات بالعيون، وتغيير في الصوت، وتنشأ قسم من هذه المصاحبات نتيجة للفطرة، بينما تختلف إشارات أخرى باختلاف المجتمع.

ونخلص من هذا، إلى أن لغة الإشارات والرموز لم تكن موضوعاً جديداً في الدراسات اللغوية النفسية الحديثة، فقد أنبأنا الله سبحانه وتعالى عنها في القرآن الكريم على لسان زكريا عليه السلام، ومريم بنت عمران. وأن هذه اللغة تعبر عما تكنه الصدور من لواعج وحنان وغيرهما؛ قد لا تعبر عنه اللغة المنطوقة صراحة. وأن ما ذكره الجاحظ عن لغة الإشارات: كالإشارة باليد، وبالرأس، وبالعين (الطرف)، وبالحاجب، والمنكب، وبالثوب، وبالسيف، يكاد يكون هو ما قاله الحمداني عن مصاحبات اللغة كتعبيرات الوجه والجسم وحركات اليدين والعيون وغيرها.

6- أمراض الكلام

لقد شرح الجاحظ أمراض الكلام وأسبابها وطرق علاجها. وإليكم بيان ذلك بالتفصيل.

6-1 الأمراض اللغوية

تناول الجاحظ[37] الأمراض اللغوية بشكل مفصَّل ومركَّز. ومن هذه الأمراض التي تحدث عنها ما يلي: العِيُّ والحَصَر. "وقديماً ما تَعَوَّذُوا بالله من شرهما، وتضرَّعوا إلى الله في السلامة منهما. قال بشار الأعمى:

وعِيُّ الفَعَالِ كَعِيِّ المقال وفي الصَّمت عِيٌّ كَعِيِّ الكَلِمْ"

ولأنهم يجعلون العجزَ والعِيَّ من الخُرَق، كانا في الجوارح أم في الألسنة".

ويذكر الجاحظ[38] بعض هذه الأمراض اللغوية حيث يقول: "وليس اللَّجلاج والتَّمتام، والألثغ والفأفاء، وذو الحُبْسَة والحُكلة والرُّتَّةِ وذو اللَّففِ والعجلة، في سبيل الحَصِر في خطبته، والعَيِيُّ في مناضلة خصومه، كما أن سبيل المُفْحَم عند الشعراء، والبكيء عند الخطباء، خلافُ سبيل المسْهَب الثَّرثار، الخَطِل المِكْثَار".

وتحدث عن المصابين بالأمراض الكلامية؛ فذكر منهم[39]: العيِيُّ والبكيءُ، والحَصِر والمُفحَمُ، والخَطِل والمُسهِبُ، والمتشدِّقُ، والمتفيهقُ، والمهمارُ، والثرثارُ، والمِكثارُ والهمَّارُ، ولِمَ ذكروا الهُجْرَ والهَذَرَ، والهَذَيانَ، والتخليط وقالوا: رجلٌ تِلِقَّاعَة، وفلان يتلَهْيَع في خطبته ... ثم اعلم أنَّ أقبحَ اللحن لحنُ أصحاب التقعير والتقعيب، والتشديق والتمطيط والجَهْوَرةِ والتفخيم".

ومن علماء اللغة المعاصرين الذين تحدثوا عن أمراض الكلام: المنصور[40]، فقد تحدثت عن عيوب الكلام، وطرق علاجه بشكل مفصَّل عند العلماء العرب القدامى. ولكن الشيء الايجابي الذي يذكر للعلماء المعاصرين أنهم استفادوا من تقدم الطب في معالجة بعض هذه الأمراض اللغوية عند الناس.

6-2 أسباب العيوب الكلامية

ذكر الجاحظ ثلاثة أسباب رئيسية للعيوب الكلامية، وهي كما يلي: لغوية نفسية، واجتماعية, وعضوية.

6-2-1 الأسباب اللغوية النفسية:

أ- **العِيُّ والحَصَر**: يذكر الجاحظ[41]: أن من الأسباب اللغوية والنفسية لأمراض الكلام: "العِيُّ والحَصَر. وقد قال النَّمْر بن تولب:

أعِذْنِي ربِّ من حَصَرٍ وعِيٍّ ومن نَفْسٍ أُعالجُها عِلاجَا

وقال أبو العيال الهذلي:

ولا حَصِرٌ بخُطبَتِهِ إذا ما عَزَّتِ الخُطَبُ

وقال مَكِّيُّ بن سَوادة البرجمي البصري:

حَصِرٌ مُسْهَبٌ جريءٌ جَبانٌ خَيْرُ عِيٍّ الرجال عِيّ السُّكوتِ"

ب- اللُّثْغة: اللُّثغة: مرض لغوي يصيب بعضَ الناسِ، عامتهم وخاصتهم؛ ولهذا نرى الجاحظ[42] قد أشار إليها، حيث يقول: "ولما علم واصلُ بنُ عطاء أنّه ألثغُ فاحش اللَّثغ، وأن مخرج ذلك منه شنيع... أنه كان داعيةَ مقالةٍ ورئيسَ نحلة. قال قطرب: أنشدني ضِرار بن عمرو قولَ الشاعر في واصل بن عطاء:

ويجعل البُرَّ قمحاً في تصرُّفه
وجانَبَ الراءَ حتَّى احتال للشِّعرِ
ولم يُطِقْ مطَراً والقولُ يُعجِلُه
فعاذَ بالغيث إشفاقاً من المَطَرِ

قال: وسألت عُثمان البُرِّي: كيف كان واصلٌ يصنع في العدد ... والشهور؟ فقال: ما لي فيه قولٌ إلا ما قال صفوان:

مُلَقَّنٌ ملهَمٌ فيما يُحاوله جَمٌّ خواطرُه جوَّابُ آفاقِ

وأنشدني ديسمٌ قال: أنشدني أبو محمد اليزيديّ:

وخَلَّةُ اللفظ في الياءات إن ذُكِرَت
كخَلَّةِ اللفظ في اللاماتِ والألفِ
وخَصْلَة الرَّاء فيها غيرُ خافيةٍ
فاعرِفْ مواقعَها في القول والصُّحُفِ"

ولقد حدا الأمر ببعضهم إلى أن طلق أزواجه. ومنهم أبو رمادة لأنه خاف أن تجيئه بولد ألثغ، فقال[43]:

لَثغاء تأتي بِحِيَفْس ألثغِ تَميسُ في المَوْشِيِّ والمصبَّغِ

الحِيَفْس: الولد القصير الصغير".

6-2-2 أسباب اجتماعية

- **الصَّمْتُ**: يذكر الجاحظ[44] أن الصمت عيب من عيوب الكلام. وكان يزيد بن جابر، قاضي الأزارقة بعد المُقَعْطِل، يقال له الصَّموت؛ لأنه لما طال صمتُه ثَقُلَ عليه الكلام، فكان لسانُه يلتوي، ولا يكادُ يُبين، من طول التفكر ولزوم الصَّمت".

6-2-3 أسباب عضوية:

- **سقوط الأسنان:** يذكر الجاحظ[45] أن سقوط بعض الأسنان يؤدي إلى الخطأ، وأن سلامةَ اللفظ من سلامة الأسنان، قال الشاعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر:

قَلَّت قوادحُها وتمَّ عديدُها فله بذاك مَزِيَّةٌ لا تنكرُ

ويروى "صحَّت مخارجُها وتمَّ حروفها". المزيَّة: الفضيلة. القادح: أُكال يقع في الأسنان. والإنسان إذا تمت أسنانُه في فمه، تمَّت له الحروف، وإذا نقصت نقصت الحروف.

6-3 علاج العيوب النطقية:

يقدم الجاحظ بعض الإرشادات والنصائح التي تساعد في علاج هذه المشاكل النطقية؛ ومن بين هذه الإرشادات والنصائح مايلي:

- **المحاولة والتدريب لنطق الحروف بشكل سليم:** يقول الجاحظ[46]: "رامَ أبو حذيفةَ إسقاط الراء من كلامه، وإخراجَها

من حروف منطِقِه؛ فلم يزل يكابد ذلك ويغالبُه، ويناضله ويساجله، ويتأتَّى لسَتره والراحةِ من هُجْنَتِه، حتَّى انتظم له ما حاول، واتَّسق له ما أمَّل... وكانت لُثْغة محمد بن شبيب المتكلم، بالغين، فإذا حمل على نفسه وقوَّم لسانه أخرج الراء على الصحة فتأتَّى له ذلك، وكان يَدَعُ ذلك استثقالاً. أنا سمعت ذلك منه".

فالمحاولة والمثابرة والمداومة على النطق السليم هي خير دليل على العلاج الناجع.

ويقول الجاحظ[47] في علاج اللُّثغة: "فأما التي على الغين فهي أيسرهنَّ، ويقال إن صاحبها لو جَهدَ نفسَه جَهْدَه، وأحدَّ لسانه، وتكلف مخرج الراء على حقها والإفصاح بها، لم يك بعيداً من أن تجيبه الطبيعة، ويؤثِّر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً... وكان إذا شاء أن يقول عَمْرو، ولعمري، وما أشبه ذلك على الصحة قاله، ولكنه كان يستثقل التكلُّفَ والتهيُّؤَ لذلك، فقلت له: إذا لم يكن المانعُ إلا هذا العذرَ فلستُ أشكُّ أنك لو احتملت هذا التكلُّف والتَّتبُعَ شهراً واحداً أنَّ لسانك كان يستقيم...".

إن كثرة التدريب والتمرين على الكلام تعود اللسان على الفصاحة وقول الصواب منها إذا أخلد إلى الهوينا، ولم يمرن لسانه على الكلام.

– **سقوط جميع الأسنان:** يقول الجاحظ[48]: "إن سقوط جميع الأسنان أصْلَحُ في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها، وخالف أحدُ شطريها الشَّطر الآخر".

وإن الجمع بين الطعام الحار والشراب البارد يؤذي الأسنان ويؤدي إلى سقوطها. يقول الجاحظ[49] معقباً على ذلك: "وكان سفيان بن الأبرد الكلبي كثيراً ما يجمع بين الحارّ والقارّ، فتساقطت أسنانه جُمَعُ، وكان في ذلك كلِّه خطيباً بيِّناً".

وقال أهل التجربة[50]: "إذا كان في اللحم الذي فيه مغارزُ الأسنان تشميرٌ وقِصَر سَمْك، ذهبت الحروفُ وفسدَ البيان. وإذا وجد اللسانُ من جميع جهاته شيئاً يقرعهُ ويصكُّه، ولم يمرَّ في هواءٍ واسعِ المجال، وكان لسانهُ يملأ جَوْبَة فمِه، لم يضرَّه سقوطُ أسنانه إلا بالمقدار المغتفَر، والجزء المحتمَل".

يرشدنا الجاحظ إلى أهمية الدربة على الكلام والمران عليه؛ وأن نخرج الحروف على الصحة، وألا نستسلم للهوينا، ونخلد إلى الخطأ. ثم يقول: "واللسان إذا كثر تقليبه رق ولان، وإذا أقللت تقليبه، وأطلت إسكاته، جسا وغلظ"[51].

يؤكد الجاحظ أن التكرار والتمرين والتدريب والحفظ لكلام العرب؛ يُعْرِب اللسان ويزيده فصاحة، ويُبعِده عن الصمت واللحن. وهذا ما تؤكده الدراسات اللغوية التطبيقية الحديثة؛ من أن المحاكاة والتمرين والتدريب على النطق السليم والصحيح، لهي الأسلوب الأكثر نجاحاً في اكتساب اللغة بطلاقة[52].

علم اللغة الاجتماعي

1– تعريف علم اللغة الاجتماعي: إن علم اللغة الاجتماعي[53]: "يبحث في الصلات والعلائق التي تربط بين اللغة والمجتمع. وبعبارة أوضح يقوم هذا العلم بدراسة الأسباب والعوامل الاجتماعية التي يؤثر فيها المجتمع على شكل اللغة ووظيفتها. ومن أبرز موضوعات هذا العلم، هو: اختلاف اللهجات في اللغة الواحدة، ومسألة تغيّرها وتماسها واختلافها وموتها وفنائها واندثارها أو تشعبها وتفرعها...". ومن موضوعات هذا العلم أيضاً الصمت، والتخطيط اللغوي، والسياسة اللغوية وغيرها. أما الموضوع الذي عالجه الجاحظ في بعض مؤلفاته هو الصمت.

2– الصمت: تحدث زيدان علي جاسم عن موضوع الصمت – في إحدى محاضراته عن: علم اللغة الاجتماعي، لطلاب الماجستير في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في عام 1993م– حيث قال: إن الصمت هو أحد موضوعات علم اللغة الاجتماعي، الذي بدأ الأوربيون يهتمون به مؤخراً في أبحاثهم، بينما نجد هذا الموضوع قد بحثه الجاحظ قديماً وتبعه ابن قتيبة في عيون الأخبار. والصمت له وجهان: مدح وذم. وذمه أكثر من مدحه. وهنا يلخص الجاحظ هذا الموضوع فيما يلي:

2–1 مدح الصمت: يبين الجاحظ أن للصمت فضيلة خاصة وليست عامة، وذلك عندما جاءته رسالة من صديق له يذكر فيها قائلاً[54]: "قد قرأت كتابك فيما وصفت من فضيلة الصمت، وشرحت من مناقب السكوت، ولخصت من وضوح أسبابهما، وأحمدت من منفعة عاقبتهما وجريت في مجرى فنون الأقاويل فيهما، وذكرت أنك وجدت الصمت أفضل من الكلام في مواطن كثيرة، وإن كان صواباً، وألفيت السكوت أحمد من المنطق في مواضع جمة، وإن كان حقاً. وزعمت أن اللسان من مسالك الخنا (الفحش)، والجالب على صاحبه البلا".

يعترف الجاحظ بأن للصمت وجوهاً نافعة، ومناقب حميدة، في مواطن كثيرة، ومواضع جمة. ويذكر من فضائل الصمت أيضاً [55]: أن أعرابياً "كان يجالس الشَّعبيَّ فيطيل الصَّمت، فسُئل عن طول صمته فقال: "أسمع فأعلم، وأسكت فأسلم".

وقالوا: "لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب".

وقالوا: "مقتل الرجُل بين لَحْيَيْه وفَكَّيْه".

وأخذ أبو بكر الصديق، رحمه الله، بطرف لسانه وقال: "هذا الذي أوردَني المَوَارد".

وقال صلى الله عليه وسلم: "وهل يُكبُّ الناسَ على مناخرهم

في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم[56]". وقال أبو العتاهية:

والصمت أجملُ بالفتى من منطق في غير حينه
كلُّ امـرئٍ فـي نفســه أغلى وأشرفُ من قرينه

وكانوا يأمرون بالتبيُّن والتَثبُّت، وبالتحرز من زَلَل الكلام، ومن زَلَل الرأي، ومن الرأي الدَّبَريِّ. والرأي الدَّبَريُّ هو الذي يَعرِض من الصواب بعد مُضيِّ الرأي الأول وفَوتِ استدراكه. وأنشد لكثيِّر عزَّة:

وفي الحلم والإسلام للمرءِ وازعٌ
وفي ترك طاعات الفُؤاد المتيَّم
بصائرُ رُشدٍ للفتى مستبينة
وأخلاقُ صِدقٍ عِلْمُها بالتعلُّم"

من فضائل الصمت التي ذكرها الجاحظ هنا؛ هي: أن الصمت سبب للسلامة، وأن السكوت من ذهب، والصمت منجاة من النار، كما أنه أجمل من الكلام في غير وقته، وهو مدعاة للتَّثَبُّت في الأمور، وتَبَيُّنها قبل الكلام عنها.

2-2- ذم الصمت: لقد أمر الله سبحانه وتعالى البشر بالكلام للتعبير عن حاجاتهم ورغباتهم. وتحداهم بالقرآن الكريم وأنه معجز ليس له نهاية. قال تعالى[57]: ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلمٌ والبحرُ يمدُّه من بعده سبعةُ أبحرٍ ما نَفِدَت كلمت الله إن الله عزيز حكيم﴾. أي لوصارت جميع الأشجار أقلاماً للكتابة، والبحر الزخَّار ومن بعده سبعة أبحر أخرى، كلها حبراً، فكتبت بها كلمات الله عز وجل المشتملة على أمره وعلمه، لنفدَ ماء البحر، ولم تنفذ كلمات الله ومعلوماته.

يلخص الجاحظ تفضيل الكلام ومدحه في رسائله حيث يقول[58]: "إني وجدت فضيلة الكلام باهرة، ومنقبة المنطق ظاهرة، في خِلالٍ كثيرة، وخِصالٍ معروفة. منها: أنك لا تؤدي شكر الله ولا تقدر على إظهاره إلا بالكلام. ومنها: أنك لا تستطيع العبارة عن حاجاتك والإبانة عن مآربك إلا باللسان. مع أني لم أنكر فضيلة الصمت، ولم أهجن ذكره إلا أن فضله خاص دون عام، وفضل الكلام خاص وعام، وأن الاثنين إذا اشتمل عليهما فضل كان حظهما أكثر، ونصيبهما أوفر من الواحد. ولعله أن يكون بكلمة واحدة نجاة خلق، وخلاص أمة. ومن أكثر ما يذكر للساكت من الفضل، ويوصف له من المنقبة أن يقال للساكت ليتوقى به عن الإثم، وذلك فضل خاص دون عام. ولم نر الصمت؛ أسعدك الله؛ أحمد في موضع إلا وكان الكلام فيه أحمد، لتسارع الناس إلى تفضيل الكلام، لظهور علته، ووضوح جليته، ومغبة نفعه. وقد ذكر الله جل جلاله في قصة إبراهيم عليه السلام، حين كسر الأصنام وجعلها جذاذاً. فكان كلامه سبباً لنجاته، وعلة لخلاصه، وكان كلامه عند ذلك أحمد من صمت غيره في مثل ذلك الموضع، لأنه عليه السلام، لو سكت عند سؤالهم إياه، لم يكن سكوته إلا عن بصر وعلم، وإنما تكلم لأنه رأى أن الكلام أفضل، وأن من تكلم فأَحْسَن، قدر أن يسكت فيُحْسِن، وليس من سكت فأَحْسَن قدر أن يتكلم فيُحْسِن".

شدِّد الجاحظ هنا على أهمية الكلام والنطق به، وأنه أفضل للإنسان من الصمت، لأنك بالكلام واللسان تؤدي شكر الله، وتعبر عن حاجاتك وأمانيك، ولقد كان الكلام سبباً لنجاة ابراهيم عليه السلام من الكفار.

ونبِّه الجاحظ[59] على أن الكلام أفضل من الصمت، ويحرص على ألا يهمل المرء قريحته، ويخلد للهوينا، وتستبد به سوء العادة عن الكلام، وعلى المرء ألا يدع التماس البيان والتبيين إن ظن أن له فيهما طبيعة، وأنهما يناسبانه بعض المناسبة، ويشاكلانه في بعض المشاكلة، ولا يُهمل طبيعته فيستولي الإهمالُ على قوة القريحة، ويستبد بها سوءُ العادة. وقد ذكر الله تبارك وتعالي داودَ النبيّ صلوات الله عليه الذي آتاه الحكمة وفصل الخطاب، وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم شعيباً النبيَّ عليه السلام، فقال: "ذاك خطيب الأنبياء لمراجعته قومه[60]" فكيف تهاب منزلةَ الخطباءِ وداود عليه السلام سَلَفُك، وشعيبٌ إمامك.

من خلال ما تقدم؛ تبيَّن لنا: أن فضيلة الكلام عامة وخاصة، بينما فضيلة الصمت خاصة فقط. وأن الكلام أفضل من الصمت، لأنه يعبر عن حاجات الإنسان، ورغباته، ومشاعره، وشكره للآخرين، وغير ذلك من المناقب الحميدة للكلام التي هي الأصل في الحياة الإنسانية.

إن علم اللغة الاجتماعي يهتم بموضوع الصمت اهتماماً بالغاً، وأصبح من موضوعاته التي تعرض لها الباحثون في هذا الميدان مؤخراً بالبحث والدراسة، ومن ذلك ما ذكره زيدان علي جاسم في محاضراته عن علم اللغة الاجتماعي حول الصمت في العام 1993م، بالجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، وقال: إن الصمت له فائدتان: إحداهما، أن ينفع في بعض المواقف حيث أنه يجنب الإنسان النقد، وحسد الآخرين، ومن كثر كلامه كثر لغطه. وثانيهما، أنه يفيد في التثبت من صحة الأمور والآراء والأحكام، وألا تطلق جزافاً إلا بعد التثبت منها كي يكون الحكم سديداً قويماً.

الترجمـة

1- المقدمة: تعد الترجمة إحدى فروع علم اللغة التطبيقي،

لها نظرياتها ومناهجها وأساليبها وأدواتها الخاصة بها[61]. وتشكل جزءاً مهماً من التفاعل الثقافي بين الأمم. وهي مصدر غني وفريد للمعلومات لبني البشر. ويتحتم استخدامها لمعرفة ما يعرفه الآخرون، وما يحسون به. على الرغم مما يعتريها من النقص والتناقض والغموض والصعوبة وغير ذلك من المشكلات التي تصادف المترجم في أثناء عمله. ولقد اهتم العرب بها اهتماماً بالغاً؛ وفي هذا الخصوص يقول (جاسم وجاسم Jassem and Jassem, 1995): إن "الترجمة العلمية موضوع عزيز الجانب عند العرب، سواء أكانوا حكاماً أم علماء. ولقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود، فتعلمها في سبعة عشر يوماً... ولقد كان العرب يدفعون للمترجم وزن الكتاب ذهباً، بعد أن يقوم بترجمته، وذلك إبّان الخلافة العباسية"[62].

تناول الجاحظ هذا الموضوع في مؤلفاته القيِّمة، وبيَّن أنها مهمة صعبة وشاقة على المترجم. خاصة إذا كان المترجم يترجم من لغة ندر من تخصص فيها. ويناقش الجاحظ صعوبة ترجمة الشعر، والقرآن الكريم، مبيِّناً من خلال ذلك خصائص المترجم وشروطه، وذاكراً مزاياها ومثالبها، وأنها ضرورية لابد منها في الصناعات وغيرها، على الرغم مما يعتريها من المشكلات والعقبات.

2- صعوبة ترجمة الشعر: يقر الجاحظ بصعوبة ترجمة الشعر، وأنه لا يمكن ترجمته إلى اللغات الأخرى. لأنه يفقد وزنه وإيقاعه ومعناه، وهو ليس كالنثر، الذي يمكن ترجمته ونقله. يقول الجاحظ[63]: "والشعر لا يستطاع أن يترجم، ولا يجوز عليه النقل، ومتى حوِّل تقطَّع نظمُه وبطلَ وزنُه، وذهب حسنُه وسقطَ موضعُ التعجب، لا كالكلام المنثور. والكلام المنثور المبتدأُ على ذلك أحسنُ وأوقعُ من المنثور الذي تحوّل من موزون الشعر".

يؤكد الجاحظ هنا صعوبة ترجمة الشعر؛ لأن فيه معان خفية، وكنايات بليغة، وتشبيهات بليغة، وصور بديعة. فمتى تُرجِمَت ذهبت كل هذه الصور الفنية القيِّمة منه، وأصبح الشعر لا فائدة منه. لأن المترجم مهما جاول جاهداً؛ لن يكون أبداً مثل الشاعر، أو المؤلف، الذي نظم كل هذا، عالماً بالمعاني، وتصاريف الألفاظ، وتأويلات المخارج، وغيرها من الأمور الدقيقة في اللغة. حيث يقول[64]: "ثم قال بعضُ مَن ينصر الشعر ويحوطه ويحتجُّ له: إن التَّرجُمان لا يؤدي أبداً ما قال الحكيمُ، على خصائص معانية، وحقائق مذاهبه ودقائق اختصاراته، وخفيَّات حدوده، ولا يقدر أن يوفِّيها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها، ويقوم بما يلزمُ الوكيلَ ويجب على الجَرِيّ، وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها، والإخبار عنها على حقها وصدقها، إلا أن يكون في العلم بمعانيها، واستعمال تصاريف ألفاظها، وتأويلات مخارجها، ومثل مؤلِّف الكتاب وواضعه...".

يقر الجاحظ هنا؛ بأن ترجمة الشعر مهمة عسيرة، لأنها تتضمن معان خفية، ودقائق بليغة، لا يقدر عليها إلا من كان ضليعاً باللغتين، وأنى يكون هذا؟! ويؤيد هذا القول في العصر الحديث نيوبرت (Neubert) وشريف (Shreve)[65]: "...أن مقدرة الترجمة على التغلب على الحواجز التاريخية والثقافية الاجتماعية مقدرة محدودة... فلا توجد هناك نصوص مكافئة في اللغة الهدف. وفي هذه الحالات تكون المواقف الترجمية غير منسجمة بعضها مع بعض (بين النص المصدر والنص الهدف)".

3- شرائط التَّرجُمان: يذكر الجاحظ جملة من الشروط، لكي يصبح عمل المترجم سليماً، وأن بمقدوره نقل هذه اللغة إلى اللغة الأخرى، ومن بين هذه الشروط[66]: أ- معرفته باللغة المنقولة والمنقول إليها معرفة تامة. ب- كثرة عدد المترجمين الذين ينقلون من لغة إلى أخرى لكي يشد بعضهم إزر بعض. ت- معرفته بإصلاح سقطات الكلام، وإسقاط الناسخين للكتب. لأن إنشاء الألفاظ أهون من إصلاح كلمة سقطت من الكتاب. ث- لا يمكن ترجمة كلام الله عز وجل ترجمة حرفية، وإنما تنقل معانيه وتقرّب إلى أذهان الناس.

من خلال الآراء التي بيَّنها الجاحظ؛ اتضح لنا أن ترجمة كلام الله عز وجل ترجمة حرفية مهمة مستحيلة. وأن الخطأ في الدين أضرَّ من الخطأ في العلوم الأخرى، خاصة إذا كان المترجم غير كفؤ لهذه العملية.

ويقر القلقشندي بصعوبة نقل القرآن وترجمته، حيث يقول[67]: "... فقد نُقِل ما قالت حكماء العجم والفلاسفة إلى العربية، ولم يقدر أحد من الأمم على نقل القرآن إلى لغته، لكمال لغة العرب. على أن الكثير من الناس حاولوا ذلك فَعسُر عليهم نقلُه، وتعذَّرت عليهم ترجمته؛ بل لم يَصلوا إلى ترجمة البسملة إلا بنقل بعيد".

ويؤكد العثيمين[68] ما قاله الجاحظ؛ من أن الترجمة الحرفية مستحيلة لكتاب الله العزيز، أما المعنوية فلا حرج فيها، لأنها تبلغ رسالة الإسلام لغير العرب. ويساند الفوزان أيضاً هذا الرأي بقوله: إنه لا يمكن ترجمة كلام الله عز وجل ترجمة حرفية. كما أن الترجمة المعنوية تعد ناقصة وجزئية وغير دقيقة[69].

ويدعم قاي، كوك (Guy, Cook) هذا الرأي أيضاً، حيث يقول[70]: "... الدرجة التي يجب أن يحاول المترجم في إطارها الالتزام بما يقال أو التدخل لجعل تدفق النص الجديد أكثر سلاسة أو تحقيق نفس الأثر مثل الأصل المترجم. هذا الأمر ليس سهلاً بالتأكيد. كما أن الترجمة الحرفية (كلمة بكلمة) تعد

مستحيلة إذا كان الهدف هو ترجمة ذات معنى. يتضح هذا الأمر جلياً عند ترجمة حتى أكثر العبارات مباشرة وبين لغتين متشابهتين".

ويقول زيدان علي جاسم عن ترجمة القرآن الكريم: في إحدى محاضراته في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا عام 1994م- لابد من إشراك كل من: أساتذة الشريعة، واللغة العربية، والعلوم، والطب، والهندسة، وغيرها من العلوم، ليقوموا بترجمة القرآن الكريم. لأن لكل علم من العلوم مصطلحاته ومفاهيمه الخاصة به، يعرفها أهل التخصص الذين هم أدرى بها.

ومن صفات المترجم كما يذكرها الجاحظ[71]: أن يستشير الحكيم أو الفيلسوف العليم... ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم. ويؤيد هذا الرأي ابراهيم[72] حيث يقول: "... مهما بلغ – أي المترجم – من تمكن ومعرفة بأسرار اللغتين، المصدر والهدف، لن يكون بمقدوره تقديم ترجمة مرضية...".

تعليم اللغات

1- تمهيد: يقول خرما والحجاج[73]: "... إن طرائق التدريس أخذت بالتعدد والتنوع منذ بداية القرن الحالي نتيجة أسباب كثيرة، منها الحاجة لتعلُّم اللغات المختلفة ودراستها التي لم تكن معروفة سابقاً، والتي قدمتها لنا الدراسات الأنثروبولوجية، وخصوصاً في بداية القرن الحالي والعقود التي تلته". إنهما يؤكدان على أن تعلُّم ودراسة اللغات لم تكن معروفة في السابق، ولكنني لا اتفق معهما، وأؤكد بأن تعلُّم اللغات ودراستها كان معروفاً منذ العصر الجاهلي. فنجد في شعر امرئ القيس بعض الألفاظ الرومية، مثل: السجنجل، وغيرها... وكذلك نجد في شعر الأعشى بعض الألفاظ الفارسية؛ مثل: العظلم والأرندج، حيث يقول:

عيله ديابوذ تشربل تحته أرندج إسكاف يخالط عظلما

الديابوذ: ثوب ينسج على نيرين. أرندج: جلد أسود. عظلم: نوع من الشجر يخضب به.

ويقول الأصبهاني[74]: "إن عدي بن زيد العبادي، وهو شاعر جاهلي معروف، قد تعلم الكتابة والكلام بالفارسية، ويقول: فلما تحرك عدي بن زيد، وأيفع طرحه أبوه في الكُتَّاب، حتى إذا حذَقَ أرسله المَرْزُبان مع ابنه (شاهان مَرْدْ) إلى كُتاب الفارسية، فكان يختلف مع ابنه، ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية، حتى خرج من أفهم الناس بها، وأفصحهم بالعربية، وقال الشعر".

وفي العصر الإسلامي، نجد أن الرسول العربي صلى الله عليه وسلم، أمر زيد بن ثابت، بتعلم لغة السريان: رُوي عن زيد أنه أمره الرسول صلى الله عليه وسلم، بتعلم لغة السريان[75]. قال زيد بن ثابت: "قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: تُحسِن السريانية أنها تأتيني كتب. قال: قلت: لا. قال: فتَعَلَّمْها فتعَلَّمَها في سبعة عشر يوماً".

وأما العصر العباسي، فهو غني عن التعريف؛ فقد فتح المأمون دار الحكمة، وكان فيها قسم للترجمة؛ من وإلى اللغة العربية واللغات الأخرى. ونجد ابن المقفع مثلاً؛ قد تعلم لغة الفرس والهنود، وترجم الكثير من قصصهم وآدابهم.

وفي العصر الأندلسي، تعلم اليهود اللغة العربية وألَّفوا كتبهم اللغوية والأدبية والعلمية بها، ونقلوها إلى اللغات الأوربية الأخرى[76]. فهذه الأدلة تؤكد على أن تعلُّم اللغات كان معروفاً منذ القديم، وليس وليد القرن الحالي.

ولقد اهتم الجاحظ بمسألة تعليم اللغة وتعلّمها لأهلها ولغيرهم. وهنا نراه يؤكد أهمية تعلم اللغة، ونطقها نطقاً صحيحاً وسليماً. لأنها تُبَيِّن حاجة الفرد إلى غيره في المجتمع الذي يعيش فيه، وبدون اللغة لا يستطيع أن يتعامل مع من حوله. حيث يقول[77]:

"... ونفع الكلام يَعُمّ ويَخُصّ، والرُّواة لم ترو سكوت الصامتين،كما روت كلام الناطقين، وبالكلام أرسلَ الله أنبياءه لا بالصمت... كما قال عمر بن الخطاب رحمه الله: "ترك الحركة عُقْلَةٌ. وإذا ترك الإنسان القولَ ماتت خواطرُه، وتبلدت نفسُه، وفسدَ حِسُّه. وأيةُ جارحةٍ منعَتها الحركة، ولم تمرنها على الاعتمال، أصابها من التعقُّد على حساب ذلك المنع".

كما نراه يهتم بمسألة تعليم اللغة الثانية وتعلّمها، ويذكر بعض من كان يجيد أكثر من لغة في زمانه، حيث يقول[78]: إن موسى بن سيَّار الأُسواريّ، كان من أعاجيب الدنيا، كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية، وكان يجلس في مجلسه المشهور به، فتقعد العربَ عن يمينه، والفُرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية، ثم يُحوِّل وجهه إلى الفرس فيفسِّرها لهم بالفارسية، فلا يُدرى بأي لسان هو أَبينُ. واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كلُّ واحدة منهما الضيمَ على صاحبتها، إلاّ ما ذكرنا من لسان موسى بن سيَّار الأسواريّ".

ومن خلال هذه النصوص والشواهد، نرى أن تعليم اللغات كان معروفاً عند القدامى، لا كما يرى بعض العلماء من أمثال خرما والحجاج وغيرهم.

وبعد هذه الإطلالة اليسيرة حول تعليم اللغات، نعود لنبحث

في موضوع مهم تفرَّع عنها؛ وهو: موضوع علم اللغة التقابلي وتحليل الأخطاء. لأنهما يهتمان بمسألة تعلم الأجانب للغة؛ وما يعتري ذلك من صعوبات، ومشكلات، تواجههم أثناء ذلك.

علم اللغة التقابلي

1- تمهيد: يهدف هذا البحث إلى بيان نظرية علم اللغة التقابلي (التحليل التقابلي) عند الجاحظ؛ وبيان أسبقيته التاريخية في هذا المجال، قبل علماء اللغة في أمريكا وأوربا[79].

يقصد بعلم اللغة التقابلي أو التحليل التقابلي: هو مقارنة النظام اللغوي بين لغتين مختلفتين، مثلاً النظام الصوتي أو النظام النحوي في اللغة العربية واللغة الماليزية. ويهتم التحليل التقابلي ببيان أوجه التشابه والاختلاف بين اللغة الأولى واللغة الثانية. وإن أكثر الأخطاء تأتي بسبب التدخل من اللغة الأم. ولهذا يدعي بأن الأخطاء ضارة ويجب أن تزال. ولقد كان أكثر نجاحاً في علم الأصوات من المجالات الأخرى من اللغة[80].

يقول اللغويون في أمريكا من أمثال (فريز ولادو Fries, 1945; Lado, 1957[81]): إن التحليل التقابلي طوّر ومُورِس في الخمسينات والستّينات من القرن العشرين؛ كتطبيق لعلم اللغة البنيوي في تعليم اللغة. وظهر نتيجة لتطبيق نظرية علم النفس السلوكي (سكنر Skinner, 1957[82]) وعلم اللغة البنيوي: (بلومفيلد Bloomfield, 1933[83]) في تعليم اللغة.

ويستند التحليل التقابلي على الفرضيات التالية:

1- إنّ الصعوبات الرئيسة في تعلّم لغة جديدة سببها التدخل أو النقل من اللغة الأولى. والنقل نوعان: إيجابي وسلبي. النقل الإيجابي: يجعل التعلم أسهل، وهو نقل قاعدة لغوية من اللغة الأم إلى اللغة الهدف. ويمكن أن تكون اللغة الأم واللغة الهدف تشتركان في القاعدة نفسها. والنقل السلبي: يُعْرَف عادة بالتدخل. وهو استخدام قاعدة في اللغة الأم تؤدي إلى خطأ أو شكل غير ملائم في اللغة الهدف.

2- هذه الصعوبات يمكن أن يتنبأ بها التحليل التقابلي.

3- يمكن استعمال المواد التعليمية في التحليل التقابلي لتقليل آثار التدخل.

هذه الفرضيات أثبتها الجاحظ منذ القرن الثالث للهجرة، وفي السطور التالية شرح ذلك مفصلاً.

2- دراسة جذور هذا العلم وأسسه عند الجاحظ.

إن متعلمي اللغة يواجهون صعوبات في نطق بعض الأصوات أثناء تعلمهم. وهذه الصعوبات مشكلتها قديمة وليست جديدة. فقد تحدث عنها القدامى والمحدثون من علماء العربية.

ولقد استرسل الجاحظ في حديثه عن مشكلة اللُّثغة واللُّكنة، عند الأجانب الذين يتعلمون اللغة العربية وخاصة الأصوات. وقام بشرح اللُّثغة واللُّكنة، وذكر أسبابهما، وطريقة علاجهما. ولنستمع لما يقوله عن اللُّثغة[84]:

2-1 اللُّثغة: "قال أبو عثمان: وهي أربعة أحرف: القاف، والسين، واللام، والراء... فاللُّثغة التي تعرض للسين تكون ثاء، كقولهم لأبي يكسوم: أبي يكثوم... واللُّثغة التي تعرض للقاف، فإن صاحبها يجعل القاف طاء، فإذا أراد أن يقول: قلت له، قال: طلت له.. وأما اللُّثغة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياء، فيقول بدل قوله: اعتللت: أعتييت... وأما اللُّثغة التي تقع في الراء، فإن عددها يضعف على عدد لثغة اللام، لأن الذي يعرض لها أربعة أحرف: فمنهم من إذا أراد أن يقول عمرو، قال: عمي، فيجعل الراء ياء، ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو، قال: عمذ، فيجعل الراء ذالاً...، ومنهم من يجعل الراء ظاء معجمة، فإذا أراد أن يقول: مرة قال مظة".

2-2 أسباب اللُّثغة: هناك سببان للثغة عند الجاحظ، وهما:

1- الزواج من امرأة لثغاء[85]:"... طلق أبو رمادة امرأته حين وجدها لثغاء، وخاف أن تجيئه بولد ألثغ". وهذا السبب من أسباب التنبؤ بالمشاكل والصعوبات التي تواجه المتعلم، **وهذه الفرضية الثانية** من فرضيات التحليل التقابلي الحديثة. لقد طلق أبو رمادة زوجته، حين وجدها لثغاء، وخاف (أي تنبَّأ) أن تُنجِبَ له ولداً ألثغاً. وكذلك واصل بن عطاء كان ألثغاً، وكان يتجنب حرف الراء من كلامه. حيث يقول الشاعر[86]:

ويجعل البُرَّ قمحاً في تصرُّفه
وجانَبَ الراءَ حتَّى احتال للشَّعَرِ
ولم يُطِقْ مطَراً والقـولُ يُعجِلُه
فعاذَ بالغيث إشفاقاً من المَطَرِ

فكان واصل بن عطاء كثير التُطْواف في اللغة، خاصة عندما تصادفه كلمة من الكلمات فيها أحد حروف اللُّثغة، مثل: عشرة وعشرين، ورجب ومحرم وبُر ورمضان إلخ. ولذلك كان يقول عنه الشاعر صفوان بن صفوان الأنصاري:

مُلَقَّنٌ ملـهَمٌ فيما يُحاوله جَمٌّ خواطرُه جوَّابُ آفاقِ

2- سقوط بعض الأسنان؛ قال سهل بن هارون: "لو عرف الزنجي فرط حاجته على ثناياه في إقامة الحروف، وتكميل آلة البيان، لما نزع ثناياه". ويقول أيضاً[87]: "وقد صحت التجربة، وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف، منه إذا سقط أكثرها، وخالف أحد شطريها

الشطر الآخر. وقد رأينا تصديق ذلك في أفواه قوم شاهدهم الناس بعد أن سقطت جميع أسنانهم، وبعد أن بقي منها الثلث أو الربع".

يؤكد الجاحظ على أن الخطأ ينجم عن سقوط بعض الأسنان وبقاء بعضها. فعندما يتكلم المرء والحالة هذه، تكون بعض الأصوات غير واضحة أو غير مفهومة، مما يتسبب في عدم البيان، والوقوع في الخطأ.

2-3 طريقة علاج اللُّثغة: إن المحاولة والتكرار والتمرين والتدريب على الكلام، وإعادته مراراً كفيل بأن يساعد على التغلب على هذه المشكلة، وألا يدعها استثقالاً وإهمالاً؛ حيث يقول[88]: "فأما التي على الغين فهي أيسرهن، يقال إن صاحبها لو جَهَدَ نفسه جَهْدَه، وأحدَّ لسانه، وتكلف مخرج الراء على حقها والإفصاح بها، لم يَكُ بعيداً من أن تُجيبه الطبيعة، ويؤثر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً".

فالطريقة الناجحة للعلاج برأيه هي: كثرة التمرين والتدريب على النطق. ويبرهن على هذا بالدليل الواقعي العلمي من واقع التجربة التي جربها وشاهدها. وهذه هي **الفرضية الثالثة** من فرضيات التحليل التقابلي الحديثة، والتي توصي بكثرة التدريب على الأصوات الصعبة ليستقيم اللسان.

أما اللُّثغة التي تعرض للحروف فهي مختلفة عن هذه؛ حيث يقول[89]: "فأما حروف الكلام فإن حكمها إذا تمكنت في الألسنة خلاف هذا الحكم ألا ترى السِّنديّ إذا جُلِبَ كبيراً فأنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زاياً، ولو أقام في عُليا تميم، وفي سُفلى قيس، وبين عُجَّز هوازن، خمسين عاماً".

وهنا تجدر الإشارة؛ إلى أن الجاحظ يرى: أن السّندي إذا جُلِبَ كبيراً، فإنه لا يستطيع إلا أن ينطق الجيم زاياً...إلخ. ففي زمنه لم تكن الأجهزة التي تساعد على تعلم النطق الجيد، والوسائل الحديثة متوفرة، لعلاج مثل هذه الحالات، التي تعترض متعلمي اللغة الثانية. فهذه الأجهزة من معامل لغوية، ووسائل تعليمية، وأجهزة تسجيل، وغيرها تعين كثيراً في التعلُّم. ويمكن أن تتغلب على العادات اللغوية بالتدريب المستمر والمتواصل.

ثم يتحدث عن أسباب الصعوبة في نطق الأصوات. فنراه يعزوها إلى عدة أمور أهمها[90]: اللُّثغة واللُّكنة. واللُّكنة تعني قلب بعض الحروف إلى غيرها كالحاء تقلب هاء، والعين همزة، والطاء تاء إلخ.

إن علم اللغة التقابلي عندما يقوم بدراسة لغوية لين لغتين، وفي أي مستوى من مستويات اللغة، يبدأ بوصف نظام كل واحدة من اللغتين على حدة، ثم يقابل بينهما، ويقوم بحصر أوجه التشابه والاختلاف بين نظامي اللغتين المدروستين. ثم ينتهي بنتائج البحث؛ فيقول مثلاً: إنه توجد هذه الأصوات في اللغتين، ولا توجد تلك الأصوات في إحداهما. فالأصوات التي لا توجد في اللغة الثانية تسبب صعوبة أثناء تعلمها، والأصوات الموجودة في اللغتين لا تسبب صعوبة أثناء تعلمها. ومن ثم اقتراح الطريقة المناسبة للعلاج. وكما ينص علم اللغة التقابلي أيضاً على تأثير اللغة الأم في تعلم اللغة الثانية، وبالتالي ينقل المتعلم عاداته اللغوية من لغته الأم إلى اللغة الثانية التي يتعلمها. لقد ذكر الجاحظ ذلك في حديثه عند تعلم الأجانب والعرب لأصوات اللغة الثانية، ولنستمع إلى ما قاله الجاحظ في هذا الشأن[91]: "... ويقال في لسانه لكنةٌ إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذَبت لسانَه العادةُ الأولى إلى المخرج الأول". ويقول أيضاً في موضع آخر: "ومتى ترك شمائله على حالها، ولسانه على سجيته، كان مقصوراً بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه".

يؤكد الجاحظ هنا على مبدأ النقل اللغوي أو ما يعرف بتأثير اللغة الأم في اللغة الثانية، حيث أن المتعلم ينقل عاداته اللغوية من لغته الأم إلى اللغة الثانية التي يتعلمها. هذه هي **الفرضية الأولى** من فرضيات التحليل التقابلي الحديثة، وهي النقل اللغوي من اللغة الأم إلى اللغة الهدف.

ولقد أشار سيبويه إلى هذه الناحية حيث يقول[92]: "يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم: الجيم، لقربه منها. ولم يكن من إبدالها بدٌّ؛ لأنها ليست من حروفهم... فالبدل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم، يبدل منه ما قرب منه من حروف الأعجمية".

إن متعلم اللغة الثانية عادة ما يبدل الحروف التي يتعلمها في اللغة الهدف إلى حروف لغته الأم، في حال عدم وجودها. ويبحث علم اللغة التقابلي أيضاً؛ في كيفية تعلم الأجانب لأصوات اللغة الهدف ونطقها، ثم يبحث عن سبب هذه المشكلة. هل هذه الأصوات غير موجودة في لغته الأم؟ أم أن هناك سبباً آخر غير ذلك. كاعتياد أعضاء النطق عند الكبير على النطق بالطبيعة التي تكيفت معها أعضاؤه... فقد وجدنا الجاحظ قد تحدث عن هذه القضايا كلها، مبيناً كيفية نطق العرب والأجانب للحروف، مع بيان العلاج المناسب. يوصي علم اللغة التقابلي في القرن العشرين بكثرة التدريب والتمرين على الأصوات التي توجد فيها صعوبة نطقية، كوسيلة من وسائل العلاج. كما يهتم أيضاً بمسألة التنبؤ بالصعوبات التي تواجه المتعلم، وكذلك النقل من اللغة الأم إلى اللغة الهدف. وهذا ما ناقشه الجاحظ في بيانه[93].

تحليل الأخطاء

1- المقدمة: لقد تحدث الجاحظ عن الأخطاء التي يقع فيها متعلمو اللغة العربية من غير العرب. وأن هذه الأخطاء متنوعة وكثيرة[94]. وفيما يلي نحاول أن نلقي الضوء عليها من خلال كتابه البيان والتبيين.

إن نظرية تحليل الأخطاء (Error Analysis) ظهرت لتعارض نظرية التحليل التقابلي (Contrastive Analysis) التي تقول: إن سبب الأخطاء، هو التدخل، والنقل من اللغة الأم إلى اللغة الهدف. لكن كوردر وآخرين عارضوا هذا الاتجاه؛ وقالوا: "إن سبب الأخطاء ليس التدخل من اللغة الأم فحسب، بل هناك أسباب أخرى داخل اللغة الهدف، وهذه الأسباب تطورية. مثل: أسلوب التعليم، والدراسة، والتعود، والنمو اللغوي، وطبيعة اللغة المدروسة، والتعميم، والسهولة، والتجنب، والافتراض الخاطئ، وغيرها. كل هذه العوامل لها أثرها فيما يواجه الدارسون من مشكلات. وذلك بغض النظر عن أوجه التشابه والاختلاف بين لغة الدارسين، واللغة الثانية التي يتعلمونها في غالب الأحيان"[95].

ويرى أصحاب نظرية تحليل الأخطاء: أنه عن طريق تحليل الأخطاء فقط نستطيع أن نتعرف على حقيقة المشكلات التي تواجه الدارسين أثناء تعلمهم اللغة, ومن نسبة ورود الخطأ نستطيع أن نتعرف على مدى صعوبة المشكلات أو سهولتها، وبناء على هذا؛ فلا حاجة لنا إلى التحليل التقابلي[96].

2- تعريف الأخطاء

ذكر صيني والأمين[97]: أن هناك فرقاً بين زلة اللسان، والغلط، والخطأ. ويقصد بزلة اللسان: الأخطاء الناتجة من تردد المتكلم وما شابه ذلك. ويقصد بالأغلاط: هي الناتجة عن إتيان المتكلم بكلام غير مناسب للموقف. والأخطاء: هي ذلك النوع من الأخطاء التي يخالف فيها المتحدث أو الكاتب قواعد اللغة. ويضيف براون أن الخطأ، هو: "انحراف عن القواعد النحوية التي يستخدمها الكبار في لغتهم الأم"[98].

وفيما يلي نورد أمثلة عن الأخطاء التي ذكرها الجاحظ، في كتابه البيان والتبيين، للمتعلمين الأعاجم، الذين تعلموا اللغة العربية لغة أجنبية أو ثانية.

3- أنواع الأخطاء

- **الأخطاء النحوية:** يقصد بالأخطاء النحوية: هي الأخطاء التي تتناول موضوعات النحو؛ كالتذكير، والتأنيث، والإفراد، والتثنية، والجمع، وغيرها. مثال: "وكان يوسف بن خالد يقول: هذا أَحْمَرُ من هذا. يريد: هذا أشدُّ حمرةً من هذا[99]". 'فعل التفضيل يصاغ من الثلاثي، وألا يكون الوصف منه على وزن أفعل أو فعلاء. وإن لم يستوف الشروط كما في المثال السابق، يجب علينا أن نأتي بفعل آخر مستوف للشروط كي نتمكن من صوغ اسم التفضيل[100]'.

- **الأخطاء الصوتية:** يقصد بالأخطاء الصوتية: هي الأخطاء التي تقع في أصوات اللغة العربية وحركاتها، وما يعتريها من حذف، وإضافة، وإبدال، وغيرها. مثال [101]: كان أبو مسلم إذا أراد أن يقول: قلت لك، قال: كُلت لك.

- **الأخطاء المعجمية:** يقصد بالأخطاء المعجمية: هي الأخطاء التي تكون في استعمال معنى الكلمة خطأً في الجملة. مثال[102]: "وقالت أمُ ولدٍ لجرير بن الخَطَفي لبعض وَلدِها: "وقع الجُرْذَان في عِجَان أمِّكم"، فأبدلت الذال من الجُرذَان دالاً وضمّت الجيم، وجعلت العجين عجاناً".(العجان: ما بين السوءتين. الجُردان: بالضم: قضيب ذوات الحوافر. الجُرذان: بكسر الجيم وضمها: جمع جُرذ. وهو ضرب من الفأر). استعملت الكلمات في غير موضعها خطأً.

- **الأخطاء البلاغية:** يقصد بالأخطاء البلاغية: هي الأخطاء التي تتعلق بموضوعات البلاغة، كالجناس، والطباق، والتضمين، والتنافر، وغيرها. مثال: التَّنَافُر هو: النَّفَرق، نَفَرَ القوم ينفرون: ذهبوا وتفرَّقوا. ذكر الجاحظ التنافر وقال: "ومن ألفاظ العَرَب ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشدُ إنشادها إلا ببعض الاستكراه[103]. فمن ذلك قول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْب بمكان قفرٍ وليس قُرْبَ قَبْر حرب قبرُ

ولما رأى من لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن يُنشد هذا البيت ثلاثَ مرَّاتٍ في نسق واحدٍ فلا يتتعتعُ ولا يتلجلج، وقيل لهم إن ذلك إنما اعتراه إذ كان من أشعار الجِنّ، صَدَّقوا بذلك".

- **الأخطاء الأسلوبية (تحليل الخطاب):** الأخطاء الأسلوبية: هي الأخطاء التي تتناول وضع الكلمات في سياق غير صحيح، أو أن تستعمل الكلمة في الجملة بشكل خاطئ. مثال: " قال عبيد الله بنَ زياد[104]: "افتحوا سيوفكم"، يريد سُلُّوا سيوفكم، استعمل الكلمة في سياق غير صحيح.

- **الأخطاء الإملائية:** يقصد بالأخطاء الإملائية: هي الأخطاء التي تكون في كتابة الكلمة بشكل غير صحيح أو مضبوط. كزيادة حرف، أو حذفه، أو إبداله، أو وضعه في غير موضعه من الكلمة.مثال: "دعا زيادٌ النبطي غلامَه ثلاثاً فلما أجابه قال: فَمِنْ لَدُنْ دأَوْتُكَ إلى أنْ قلت لَبَّى ما كنت تَصْنأ؟[105] يريد: مِن لدُن دَعوتُك إلى أن أجبتني ما كنت تصنع"، أبدل العين همزة.

- **الأخطاء الجزئية:** الأخطاء الجزئية (Local Errors): هي الأخطاء التي لا تتسبب في إعاقة الاتصال بصورة واضحة. وتشمل أخطاء تصريف الاسم، والفعل، كما تشمل الأدوات، والأفعال المساعدة، وصوغ كلمات الكم، واستخدام الضمير المذكر مكان المؤنث، واستعمال الفعل الماضي بدلاً من المضارع، وغيرها. وبما أن تلك الأخطاء مقصورة على جزء واحد من أجزاء الجملة فإننا نسميها (أخطاء جزئية أو محلية). فالأخطاء الجزئية: هي التي تقتصر على جزء واحد من أجزاء الجملة، ولا تحدث أثراً كبيراً على عملية الاتصال ولا تعيقه[106]. مثال[107]: قال عُبيد الله بن زياد والي العراق، لهانئ بن قبيصة: أَهَرُورِيٌّ سائر اليوم، يريد: أَحَرُورِيّ.

بعد هذا الوصف اللغوي للأخطاء، يجدر بنا أن ننتقل إلى الخطوة التالية؛ وهي: الخطوة اللغوية النفسية في شرح الأخطاء.

4- شرح الأخطاء

إن وصف الأخطاء عملية لغوية صِرفة، بينما شرحها عملية لغوية نفسية بامتياز. ولذلك يجب علينا أن نشرح هنا لماذا وكيف وقعت الأخطاء. ونحاول أن نجد لها سبباً مقبولاً قدر الإمكان. وفي هذا الصدد يقول (كوردر Corder)[108]: "إن شرح الأخطاء هي عملية صعبة جداً، وأنها الهدف النهائي والأخير من تحليل الأخطاء".

ويُقْصَدُ بشرح الأخطاء هنا: أن نعزو هذه الأخطاء إلى مظانِّها الرئيسة. أي أن نُبَيِّنَ أسبابَها ما أمكن ذلك. هل هي بسبب اللغة الأم أَمْ بسبب اللغة الثانية، التي يكتسبها الطالب؟ أم أن هناك أسباباً أخرى يمكن بيانُها وذكرُها.

تناول هذه القضية علماء العربية القدامى، وأَوْلَوْها اهتماماً كبيراً في مؤلفاتهم اللغوية. ولقد شرح الجاحظ أسباب هذه الأخطاء التي يرتكبها متعلمو اللغة في دراسته. وفيما يلي بيان ذلك بالتفصيل.

4-1 أسباب اجتماعية

- **الصَّمْتُ:** يذكر الجاحظ[109]، أن أبا عبيدة قال: إذا أدخلَ الرَّجلُ بعضَ كلامه في بعض فهو أَلفٌ، وقيل بلسانه لَفَفٌ. ويفسر الجاحظ السبب في هذا اللفف أن الإنسان إذا جلس وَحْدَهُ ولم يكن له من يكلِّمه، وطال عليه ذلك، أصابه لفَف في لسانه.

4-2 أسباب نفسية

- **العِيُّ والحَصَر:** يذكر الجاحظ[110] أن من أسباب الخطأ: العِيَّ والحَصَر. قال النَّمْر بن تولب:

أعِذْنِي ربِّ من حَصَرٍ وعِيٍّ ومن نَفْسٍ أُعالجُها عِلاجَا

- **اللُّثْغة:** اللُّثْغة: مرض لغوي يصيب بعضَ الناسِ عامتهم وخاصتهم. تحدث الجاحظ [111] عمن وصف بها قائلاً: "ولما علم واصلُ بنُ عطاء أنّه ألثغُ فاحش اللَّثغ، وأن مخرج ذلك منه شنيع... أنه كان داعيةَ مقالةٍ ورئيسَ نحلة". وأنشدني ديسم قال: أنشدني أبو محمد اليزيدي:

وخَلَّةُ اللفظ في الياءات إن ذُكِرَت
كخَلَّة اللفظِ في اللامـــات والألف
وخصْلَة الرَّاء فيها غيرُ خافيـــةٍ
فاعرفْ مواقعَها في القَول والصُّحُفِ

4-3 أسباب عضوية

- **سقوط الأسنان:** يذكر الجاحظ [112]: أن سقوط بعض الأسنان يؤدي إلى الخطأ، وأن سلامةَ اللفظ من سلامة الأسنان؛ قال الشاعر:

قَلَّت قوادحُها وتمَّ عديدُها فله بذاك مَزِيَّةٌ لا تنكرُ

ويروى "صحَّت مخارجُها وتمَّ حروفها". المزيَّة: الفضيلة. القادح: أُكال يقع في الأسنان. والإنسان إذا تمت أسنانُه في فمه، تمَّت له الحروف، وإذا نقصت نقصت الحروف.

والآن ننتقل إلى الهدف الأخير من تحليل الأخطاء، ألا وهو كيفية معالجة الأخطاء بشكل عملي.

5- التطبيق العملي

إن لتحليل الأخطاء هدفين اثنين: أولهما لغوي، وثانيهما تربوي وتطبيقي. والهدف الأخير والنهائي من تحليل الأخطاء، هو: التطبيق العملي على الأخطاء التي يرتكبها المتعلمون. وهذه الأخطاء لابد من استئصالها إن أمكن، وعلاجها بطرق شتى. ولقد انبرى الجاحظ لهذه المهمة ووضع لها التوجيهات والإرشادات التربوية، لكي يخفف من وقوع الأخطاء عند المتعلمين والمتكلمين. ومنها: التدريب والمران وكثرة الترديد، ورفع الصوت، وقول الشعر وروايته وغير ذلك. ويذكر أيضاً: "فالعرب كانوا يُروُّون صبيانهم الأرجاز، ويعلمونهم المناقلات ويأمرونهم برفع اللسان، وتحقيق الإعراب لأن ذلك يفتق اللهاة ويفتح الجرم"[113].

المفردات الشائعة

انتشرت في بداية القرن العشرين ظاهرة الكلمات الشائعة

واستخدامها في مجال تعليم اللغة. وقد روَّج لها العلماء، وأعدوا لها القوائم الخاصة. حيث يقول عبده في هذا الشأن[114]: "إن الكلمات الشائعة هي من موضوعات هذا العصر الحديث. ولقد ظهر الاهتمام بقوائم المفردات الشائعة في اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات العالمية منذ أوائل هذا القرن (فريز Fries 1950). وكان من أشهر هذه القوائم: قائمة (ثورندايك Thorndike 1921) التي نشرت في الولايات المتحدة عام 1921. ولقد ظهرت في اللغة العربية قوائم كثيرة كانت أولاها: قائمة (بريل عام 1940)، ثم ظهرت قائمة (بيلي Bailey) بعد ذلك بحوالي عشر سنوات... وإلى جانب قوائم المفردات الشائعة التي أحصيت من المواد المكتوبة، ظهرت قوائم مفردات لغة الأطفال التي استقيت من لغة الأطفال المحكية. وقد كان الهدف الأساسي من دراسة لغة الأطفال معرفة المفردات الشائعة فيها؛ للاستفادة من ذلك في تحسين الكتب المدرسية، ومواد القراءة الإضافية، والحكم على كتب الأطفال المستعملة. ومن هذه القوائم قائمة الحسون وهرمز 1973م[115].

بعد هذه التوطئة للمفردات الشائعة في القرن العشرين. نعود إلى دراستها عند الجاحظ؛ رائد هذه الظاهرة في علم اللغة التطبيقي. وأنه أول من بحث فيها وبيَّن أهميتها، وأولاها اهتماماً كبيراً في دراسته. وأن هذا الموضوع لم يكن جديداً البتة في علم اللغة، كما يرى عبده 1979م.

لقد بيَّن الجاحظ أسس هذا العلم بقوله[116]: "... يُزْعَم أن هذه الحروفَ أكثر تَرداداً من غيرها، والحاجة إليها أشدّ. واعتَبِرْ ذلك بأن تأخذ عِدَّة رسائلَ وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم؛ فإنَّك متى حَصَّلتَ على جميع حروفها، وعددْت كل شكل على حِدَة، علمت أن هذه الحروفَ الحاجة إليها أشدّ".

من خلال هذا النص؛ يتبيَّن لنا أهمية دراسة هذه الظاهرة في علم اللغة التطبيقي، لإفادة مصممي المناهج التعليمية؛ على تضمين هذه الكلمات، والحروف، في المقررات الدراسية. لأنها تجعل التعلم أسهل وأسرع. وتساعد الطالب على حفظ الكلمات وتذكرها. وأنها أَثْبَتُ في ذهنه أيضاً. ولقد تحدث عن هذا الموضوع فيما بعد أيضاً ابن منظور[117]، والسيوطي[118]، والخولي[119]، والعصيلي، حيث يقول[120]: إن الأصوات الشائعة في معظم لغات العالم تكتسب قبل غير الشائعة أو قليلة الشيوع، مهما كانت لغة الطفل أو بيئته، أي إن هناك علاقة إيجابية بين درجة شيوع الصوت في لغات العالم، واكتسابه في مرحلة مبكرة في لغة معينة... وتبين لبعض الباحثين أن الصوامت الأمامية المهموسة، والأصوات الأنفية... أكثر الأصوات شيوعاً في اللغات، وأنها تكتسب في مرحلة مبكرة، وأن الصوامت الانفجارية الخلفية (الطبقية) أقل شيوعاً من الانفجارية الأمامية...

ويقول الجاحظ[121] أيضاً: "ولكل لغةٍ حروفٌ تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين. واستعمال الجرامقة للعين".

وعندما تكون المفردات الشائعة، مترابطة، ومتلاحمة، وسهلة المخارج، ومنسجمة مع بعضها بعضاً، غير متنافرة فيما بينها؛ فإنها تسير على كل لسان، وكأنها حرف واحد. يقول الجاحظ في هذا الخصوص[122]: "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلمُ بذلك أنه قد أُفرغ إفراغاً واحداً، وسُبِك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان... وكذلك حروفُ الكلام وأجزاءُ البيت من الشعر، تراها متفقة مُلساً، ولينة المعاطف سهلة؛ وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشقُّ على اللسان وتكُدُّه. والأخرى تراها سهلة لينة، ورطبة متواتية، سلسة النظام، خفيفة على اللسان؛ حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد".

ومن شروط شيوع الكلمات والحروف، أن تكون متفقة، ومتآلفة، ومتلاحمة، وسهلة، وخفيفة على اللسان، لا متنافرة. والبيئة لها أثر كبير في شيوع المفردات والحروف، في بلد دون غيره. ولذلك نجد الاختلاف في الألفاظ عند أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر وغيرها من الأمصار. ومن أسباب شيوع الكلمات والحروف مايلي[123]: أ- استخفاف الناس لبعض الألفاظ واستعمالها أكثر من غيرها. ب- استعمال العامة من الناس لأقل اللغتين في أصل اللغة. ت- اللُّثْغة من أسباب شيوع المفردات الأقل فصاحة في اللغة. قال قطرب: أنشدني ضرار بن عمرو قول الشاعر في واصل بن عطاء:

ويجعل البر قمحاً في تصــرفه
وجانب الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطراً والقول يعجلــه
فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطـر

وأنشدني ديسمٌ قال: أنشدني أبو محمد اليزيدي:

وخَلَّةُ اللفظ في الياءات إن ذُكِرَت
كخَلَّة اللفظِ في اللامــات والألف
وخصْلَة الــرَّاء فيهــا غيرُ خافيةٍ
فاعرفْ مواقعَها في القَول والصُّحُفِ

فهذه الكلمات والحروف أكثر تَرداداً من غيرها عند المصابين بأمراض كلامية غالباً، والحاجة إليها أشدّ.

والسيوطي[124] تحدث أيضاً عن التراكيب الشائعة في اللغة العربية؛ حيث يقول: "فإن الكلمة تخفُّ وتَثْقُل بحسب الانتقال من حرف إلى حرف لا يلائمه قُرباً أو بُعداً، فإن كانت الكلمة ثلاثية فتراكيبها اثنا عشر... فاعلم أن أحسن هذه التراكيب وأكثرها استعمالاً ما انحدر فيه من الأعلى إلى الوسط إلى الأدنى ...".

وإن الحروف التي يكثر دورانها على ألسنة الناس؛ هي: ب، س، م، ا، ل، هـ، ر، ح، ن، ي. وهنا يذكرني في هذا المقام، أن أُثْبِتَ ما جاءني في رسالة على البريد الإلكتروني؛ مفادها كما يلي: "هناك عشرة حروف من أصل ثمانية وعشرين حرفاً باللغة العربية، إنه من المستحيل أن تجد اسماً لإنسان عربي لايوجد به أحد هذه الحروف. الحروف هي: "**ب، س، م، ا، ل، هـ، ر، ح، ن، ي**" جَرِّبُوا ومهما حاولتم لن تجدوا أبداً أي اسم عربي لايحتوي على أحد هذه الحروف. دققوا فيها قليلاً تجدون الحروف تكون جملة: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ فسبحان الله العظيم الذي أعجز البشر حتى بالحروف".

وهنا أود أن أشير؛ إلى أن معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إذا أراد أن يُؤَلِّفَ كتباً لتعليم العربية للطلاب؛ يُحَبَّذُ أن يُطْلَبَ من الطلاب أن يكتبوا عناوين الموضوعات والحوارات، التي يرغبون الحديث عنها أولاً. ثم يكتبون الحوارات أو المقالات عن هذه الموضوعات التي اختاروها، عن بلدانهم ومشاعرهم وعاداتهم وأفراحهم وغيرها. من أجل التعرف على الكلمات الشائعة والمستعملة عندهم. ثم بعد ذلك تُوَظَّف في المناهج التي تُعَدُّ لهم. وذلك بإعادة صياغتها بلغة فصحى مبينة. وهذا ما فَعَلْتُهُ عندما أَلَّفْتُ كتباً لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ماليزيا[125]. وقد لاقت رواجًا كبيراً في أوساط الطلاب ولله الحمد.

النحو التعليمي

شاع في الآونة الأخيرة من القرن العشرين موضوع تيسير النحو لأبنائه ولغيرهم، وتسهيله وتبسيطه، وتخليصه من شوائبه، وعويصة، الذي لا يسمن ولا يغني من جوع. وما تزيده هذه الشوائب إلا تعقيداً وصعوبة. فأخذ علماء اللغة في القرن العشرين، يروجون لموضوع تيسير النحو وتسهيل قواعده، لكي يتيسر فهمها للطلاب بشكل مقبول. بينما نجد الجاحظ كان سَبَّاقاً لمعالجة هذا الموضوع منذ القديم. حيث يقول في إحدى رسائله عن رياضة الصبي[126]:

"وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه. وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به، ومذهل عما هو أردُّ (أنفع له) عليه منه من رواية المثل والشاهد، والخبر الصادق، والتعبير البارع... وعويص النحو لا يجري في المعاملات ولا يضطر إليه شيء".

يؤكد لنا الجاحظ، على أن المتعلم الصغير، أو المبتدئ، يحتاج إلى مسائل يسيرة في النحو، لكي يصحح لغته، وتكون تراكيبه سليمة وخالية من الخطأ واللحن. وأن نبتعد عن المسائل الخلافية في النحو التي تحتمل غير وجه من وجوه الإعراب.

ولقد سار علماء اللغة في القرن العشرين على هدي الجاحظ، فراحوا يروجون ويكتبون النحو بطريقة سهلة يسيرة على الطلاب، ليسترشدوا به في فهم ما يسمعونه ويقرأونه، ويستعينون به في الحديث والكتابة؛ بعيدين عن عويص النحو، وغامضة، وكثرة المصطلحات، والشروح النظرية[127]. وأن القواعد العربية التي يتعلمها الصغار والكبار هي نفسها على حد سواء، لا فرق بينهما كل حسب فهمه ومستواه. لا كما هو الحال في النحو الإنجليزي الذي يعلم القواعد بأوجه متباينة ومتغايرة حسب نوعية البرنامج الذي يلتحق فيه الطالب[128].

الخاتمـــــة

نوجز فيما يلي أهم النتائج التي توصل إليها البحث؛ وهي كما يلي:

علم اللغة النفسي، تبين لنا أن الجاحظ بحث موضوعات علم اللغة النفسي بشكل جيد. ومن هذه الموضوعات: اكتساب اللغة، ولغة الحيوانات، ولغة الإشارات والرموز، وأمراض الكلام، وأسبابها، وعلاجها. ولقد كانت آراؤه مؤثرة جداً في آراء علماء اللغة المحدثين. ولقد أجرى الغربيون التجارب والبحوث، وأكدوا ما قاله العلماء العرب وخاصة الجاحظ، من دون أن ينسبوا هذه المعلومات إليهم.

علم اللغة الاجتماعي، من خلال ما تقدم؛ يبرر الجاحظ لنا أن الكلام أفضل من الصمت؛ لأن المرء يُفصح عن رغباته بالكلام، ويفتِّح قريحته. وأن المتكلم الذرب، والمفوَّه، منزلته رفيعة في قومه، ويُشار إليه بالبنان. وهذه سنة الله في الكون.

الترجمة يؤكد الجاحظ أن الترجمة عملية صعبة للغاية ولكنها حتمية. ويجب على المترجم أن يكون عالماً وكفؤاً في كل من اللغتين التي يترجم منها وإليها. وأن يكون عالماً بالمعاني والأفكار والعادات والتقاليد وغير ذلك. وأن يكون عارفاً بإصلاح سقطات الكلام من النصوص التي يقوم بترجمتها. وإن ترجمة القرآن الكريم والشعر ترجمة حرفية

مستحيلة وصعبة. ولكن الترجمة المعنوية مقبولة إلى حد ما. كما أن الترجمة ليس لها قواعد مضمونة لمعرفة نجاحها من عدمه. وأن المترجم أيضاً لا يستطيع أن يضمن ترجمة جيدة بشكل مضبوط ودقيق جداً كذلك.

تعليم اللغات، إن موضوع تعليم اللغات كان معروفاً منذ العصر الجاهلي. ولم يكن من مكتسبات القرن العشرين، كما يقول خرما والحجاج. ولقد كان في العصر الجاهلي مَنْ تَعَلَّمَ اللغة الثانية. وفي العصر الإسلامي، شجَّع الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الظاهرة وأمر بتعلم اللغات. والعصر العباسي فريد من نوعه، فهو عصر تعلم اللغات بحق. واليهود ترجموا كتب اللغة العربية إلى لغتهم واللغات الأوربية الأخرى في العصر الأندلسي.

علم اللغة التقابلي، إن دراسة الجاحظ للأصوات عند غير العرب كانت هي الأساس لنشوء هذا الفرع من علم اللغة. فقد وجدناه في علاجه لمشكلة اللُّثغة يشرح أسس هذا العلم وفرضياته، مثل: توصيف المشكلة، وبيان الأسباب، وشرحها، وذكر طريقة العلاج المناسبة لها، وغيرها.

تحليل الأخطاء، عالج الجاحظ هذا الموضوع بشكل موضوعي. ولم يكن هذا الموضوع جديداً في علم اللغة الحديث، بل إنه قديم قدم الدراسات العربية، منذ القرن الثاني للهجرة. ولقد شرح الجاحظ الأخطاء بشكل دقيق وعزاها إلى مظانها الرئيسة. مبيناً أسبابها ما أمكن ذلك؛ من: اجتماعية، ونفسية، وعضوية، وغيرها، مع ذكر طريقة العلاج.

المفردات الشائعة، إن ظاهرة الكلمات الشائعة، لم تكن جديدة في علم اللغة التطبيقي، كما يرى عبده 1979م، بل هي ظاهرة قديمة كان رائدها الجاحظ، تحدث عنها من خلال مشكلة اللُّثغة واللُّكنة عند أرباب الكلام والنحل. وهذه الظاهرة تفيد مصممي المناهج التعليمية في توظيف الكلمات الأكثر تداولاً في المقررات الدراسية. لأن لها أثراً حميداً في سرعة تعلم اللغة واكتسابها من قبل المتعلمين.

النحو التعليمي، إن تيسير تدريس النحو العربي للناطقين بالعربية وبغيرها مسألة قديمة، شرحها الجاحظ وبيَّنها. وأكد أهمية مراعاة سن الطالب وحاجته، وتسهيل المادة العلمية المقدمة إليه، والبعد عن غريب النحو ومسائله الخلافية، التي تزيده صعوبة وتعقيداً، من غير فائدة تذكر لهؤلاء المتعلمين، الذين يُقْبِلُون على تعلم اللغة.

وبإيجاز، كان الجاحظ رائد هذا العلم حقيقة. وذلك من خلال حديثه المبكر عن هذه الموضوعات المهمة جداً. ومن خلال ما عرضنا له من أفكار، وقضايا، وآراء، في هذا الميدان، وكيفية مناقشتها، وتعليلها، وبيان أهميتها، والحاجة الملحة إلى دراستها بشكل أكثر تفصيلاً. ويخلص البحث إلى أن الجاحظ قد حاز قصب السبق في هذا المجال. ولله الحمد والمنة.

الهوامش

(1) سامسون، مدارس اللسانيات، التسابق والتطور ، ص (ح – ط).

(2) العصيلي، علم اللغة النفسي، ص 18–19.

(3) جاسم، نظرية تحليل الأخطاء في التراث العربي، ص 37. جاسم، علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب، ص 29. جاسم وجاسم، نظرية علم اللغة التقابلي في التراث العربي، ص 242.

(4) جاسم، نظرية تحليل الأخطاء في التراث العربي، ص 37. جاسم، علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب، ص 29. جاسم وجاسم، نظرية علم اللغة التقابلي في التراث العربي، ص 242.

(5) Anwar, The Legitimate Fathers of Speech Errors. - Fromkin, Grammatical Aspects of Speech Errors.

(6) Fromkin, Speech Errors as Linguistic Evidence.

(7) Robins, A Short History of Linguistics, p111.

(8) جاسم، علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب، ص 29–95.

(9) Chomsky. Syntactic Structures.

(10) Chomsky, "Review of B. F. Skinner's Verbal Behavior".

(11) Richards, J.; Platt, J. and Platt, H., Longman Dictionary of Language and Teaching and Applied Linguistics, P.300.
الترجمة العربية نقلاً عن: العصيلي، علم اللغة النفسي، ص 26.

(12) Malmkjaer and Anderson. The Linguistics Encyclopedia, P. 362.
الترجمة العربية نقلاً عن: العصيلي، علم اللغة النفسي، ص 26.

(13) العصيلي، علم اللغة النفسي، ص 27.

(14) جاسم، جاسم، علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب، ص 39.

(15) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 62.

(16) جاس، وسلينكر، اكتساب اللغة الثانية مقدمة عامة، ج1، ص150.

(17) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 70.
(18) البيان والتبيين، ج1، ص70. Jassem, Study on - Second..., P.85.
العصيلي، التحجر في لغة متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، ص 352.
(19) القاسمي، اتجاهات حديثة في تعليم اللغة العربية للناطقين باللغات الأخرى، ص 63.
(20) جاس وسلينكر، اكتساب اللغة الثانية مقدمة عامة، ج2، ص519–521.
(21) العصيلي، النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية، ص20.
(22) جاسم، علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب، ص57.
(23) سورة النحل: 68–69.
(24) الجاحظ، الحيوان، المجلد 3، ج5، ص222 وما بعدها.
(25) منصور، علم اللغة النفسي، ص 24.
(26) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج 3، ص 27–28.
(27) جاسم، علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب، ص69.
(28) الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث مدخل.
(29) جاسم، علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب، ص71.
(30) عطية، علم النفس اللغوي، ص28.
(31) جاسم، علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب، ص71–74.
(32) سورة غافر: ص19.
(33) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 76–79.
(34) أبي ربيعة، الديوان، ص 311.
(35) البيتان لحماد عجرد، البيان والتبيين، ج1، ص79.
(36) فيجوتسكي، التفكير واللغة، ص191. الحمداني، علم نفس اللغة من منظور معرفي، ص 221 وما بعدها.
(37) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 3 وما بعدها.
(38) البيان والتبيين، ج1، ص 12–13.
(39) البيان والتبيين، ج1، ص 144–146.
(40) المنصور، عيوب الكلام دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب.
(41) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 3–12.
(42) البيان والتبيين، ج1، ص 14/ 21–22.
(43) البيان والتبيين، ج1، ص 57.
(44) البيان والتبيين، ج1، ص 38.
(45) البيان والتبيين، ج1، ص 58–61.
(46) البيان والتبيين، ج1، ص 15.
(47) البيان والتبيين، ج1، ص 36–37.
(48) البيان والتبيين، ج1، ص 61.
(49) البيان والتبيين، ج1، ص 61.
(50) البيان والتبيين، ج1، ص 61–64.
(51) البيان والتبيين، ج1، ص 62/ 272.
(52) جاسم، في طرق تعليم اللغة العربية للأجانب، ص205–208.
(53) جاسم، دراسة في علم اللغة الاجتماعي، ص: (ش).
(54) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج4، ص177–178.
(55) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص194–197,
(56) الطبراني، المعجم الكبير، الباب4، ج14، ص 465، رقم الحديث،16540.
(57) سورة لقمان:27.
(58) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج4، ص179–180.
(59) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 200–201.
(60) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج2، ص 620 باب ذكر شعيب النبي صلى الله عليه وسلم.
(61) الشميمري، نقلاً عن: كوك، علم اللغة التطبيقي، ص: (ز).
(62) Jassem and Jassem, Translating Scientific Terms..., P.13.
ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، المجلد2، ص222.
(63) الجاحظ، الحيوان ، ج1، ص53 وما بعدها.
(64) الحيوان، ج1، ص53–54.
(65) نيوبرت، وشريف، الترجمة وعلوم النص، ص33.
(66) الجاحظ، الحيوان، ج1، ص54–55.
(67) القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 149.
(68) العثيمين، أصول في التفسير، ص 31–32.
(69) الفوزان، طرائق تعليم القرآن الكريم للأعاجم، ص 409.
(70) كوك، علم اللغة التطبيقي، ص68 وما بعدها.
(71) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص92–93.
(72) إبراهيم، الأساليب التقنية للترجمة بين العربية والملايوية تطبيقيات على أساليب فيني وداربلني، ص64.
(73) خرما، وحجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، ص 151.
(74) الأصبهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج2، ص101.
(75) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج 5، ص 182.
(76) كمال، دروس اللغة العبرية، ص46–50.
(77) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص272–273.
(78) البيان والتبيين ، ج1، ص368.
(79) جاسم وجاسم، نظرية علم اللغة التقابلي في التراث العربي، ص 242–251 .
(80) نظرية علم اللغة التقابلي في التراث العربي، ص 242 وما بعدها.
(81) Fries, Teaching and Learning English as a Foreign Language. Lado, Linguistics Across Cultures.
(82) Skinner, Verbal Behavior.
(83) Bloomfield, Language.

(84) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص34.
(85) البيان والتبيين، ج1، ص57.
(86) البيان والتبيين، ج1، ص14/ 21–22.
(87) البيان والتبيين، ج1، ص61.
(88) البيان والتبيين، ج1، ص36–70/37.
(89) البيان والتبيين، ج1، ص70.
(90) البيان والتبيين، ج1، ص71–74/72.
(91) البيان والتبيين، ج1، ص39–70/40.
(92) سيبويه، الكتاب، ج4، ص305–306.
(93) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص36 –272/70/37– 273.
(94) جاسم، نظرية تحليل الأخطاء في التراث العربي، الصفحات 37–85.
(95) جاسم وجاسم، نظرية علم اللغة التقابلي في التراث العربي، ص 242–251. وانظر: –صيني، والأمين، تعريب وتحرير: التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، ص: (هـ).- Jassem, Study on Second Language... Pp: 61-77. Fries, Teaching and Learning English as a Foreign Language. -Lado, Linguistics Across Cultures.
(96) صيني والأمين، التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، ص: (هـ).
(97) التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، ص 140.
(98) براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ص204.
(99) الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص210.
(100) عيد، النحو المصفى، ص541.
(101) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص73.
(102) البيان والتبيين، ج1، ص73.
(103) البيان والتبيين، ج1، ص 65.
(104) البيان والتبيين، ج2، ص 210.
(105) البيان والتبيين، ج2، ص 213.
(106) صيني والأمين. التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، ص168.– جاسم، نظرية تحليل الأخطاء في التراث العربي، ص63.
(107) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص71–73.
(108) جاسم، نظرية تحليل الأخطاء في التراث العربي، ص64.
(109) الجاحظ، البيان والتبيين، ص 38، ج 1.
(110) البيان والتبيين، ج1، ص 3 وما بعدها.
(111) البيان والتبيين، ج1، ص 14 و21–22.
(112) البيان والتبيين، ج1، ص 58–61.
(113) البيان والتبيين، ج1، ص62/ 272–273.
(114) عبده، المفردات الشائعة في اللغة العربية، ص (ب وما بعدها).
(115) الحسون وهرمز، الثروة اللغوية عند الأطفال.
(116) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص22.
(117) ابن منظور، معجم لسان العرب، ص (س)./ خياط، لسان العرب المحيط.
(118) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص195.
(119) الخولي، الأصوات اللغوية النظام الصوتي للغة العربية، ص 114–156.
(120) العصيلي، علم اللغة النفسي، ص226–228.
(121) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص64.
(122) البيان والتبيين، ج1، ص67.
(123) البيان والتبيين، ج1، ص20–22.
(124) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، 328– 329.
(125) جاسم وآخران، سلسلة تعليم العربية لرياض الأطفال./ جاسم وآخران، سلسلة تعليم اللغة العربية للأجانب في المرحلة الابتدائية./ جاسم وآخران، المحادثة العربية المعاصرة للناطقين بالانجليزية./ جاسم وآخران، تعليم المحادثة العربية المعاصرة لغير الناطقين بها، المستوى المتوسط.
(126) الجاحظ، الحيوان، ج3، ص31./- Jassem, Op. Cit. pp350- 351.
(127) صيني، والسيد، والشيخ، القواعد العربية الميسرة، ص (و).
(128) عريف، ونقشبندي، مقدمة في علم اللغة التطبيقي، ص134–135.

المصادر والمراجع

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، 1998م، ط7، ج1، مكتبة الخانجي القاهرة.

جاس، سوزان، م ولاري سلينكر، اكتساب اللغة الثانية مقدمة عامة، ترجمة ماجد الحمد، 2009م، جامعة الملك سعود، الرياض.

جاسم، جاسم علي، 2009أ، نظرية تحليل الأخطاء في التراث العربي، مجلة الجمعية العلمية السعودية للغات والترجمة، ع4.

جاسم، جاسم علي، 2009ب، علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب، مجلة العربية للناطقين بغيرها، العدد السابع، السنة السادسة، جامعة إفريقيا العالمية، ص 29–95.

جاسم، وزيدان علي، نظرية علم اللغة التقابلي في التراث العربي، مجلة التراث العربي، العددان 83، 84، دمشق.

سامسون، جفري، مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة، 1417هـ، جامعة الملك سعود، الرياض.

عريف، محمد خضر وأنور نقشبندي، 1992، مقدمة في علم اللغة التطبيقي، دار خضر ودار القبلة للثقافة الإسلامية، بيروت وجدة.

العصيلي، عبدالعزيز، 1427هـ 2006م، علم اللغة النفسي، ط1،

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
كوك، فاي، علم اللغة التطبيقي، ترجمة يوسف بن عبد الرحمن الشميمري، 2008، جامعة الملك سعود، الرياض.
Chomsky, N. 1959. Review of B, F, Skinner's Verbal Behaviour, Language.
Richards, J. et al. 1992. Longman dictionary of Language and Teaching and Applied Linguistics, 2nd Edition, Essex, UK.

Applied Linguistic in Arabian Heritage: Al-Jahiz as a Model

Jasem A. Jasem*

ABSTRACT

Applied linguistics is concerned with learning and teaching languages, and how to get benefit from educational theories in language teaching. Applied linguistics deals with many topics such as psycholinguistics, sociolinguistics, translation, teaching languages, contrastive analysis and error analysis, common words, educational grammar, language testing, discourse analysis, lexicography, language policy, language planning and others. Al-Jahiz had discussed most of these topics precisely. He discussed about psycholinguistics and dealt with many issues such as; language acquisition, sign language, animal language, and speech diseases its reasons and remedy. He also discussed the topic of silence which is one of the sociolinguistics issues. He explained that translation is a difficult and impossible task especially with respect to the Quran and poetry. Teaching languages to Arabs and non-Arabs was one of the topics he dealt with. Hypothesis of contrastive analysis was explained carefully by him as well, such as: language interference, prediction and using aid to reduce language interference. He also spoke on error analysis, such as: kind of errors, its causes (social, psychological and organical) and pedagogy. Common words were of his interest, he discussed them widely and mentioned their causes and conditions to be widely common and useable. Finally; he explained the very important topics which is the grammar, and how to make it easier to learners and simplification it to learners.

Keywords: Jahiz, Heritage, Applied, Language.

* Islamic University in Madinah, Saudi Arabia. Received on 26/9/2011 and Accepted for Publication on 15/7/2012.